اللمع من خطب الجمع

المجموعة الخامسة

الشيخ

عبد الله بن صالح القصيّر

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الأولين والآخرين؛ فهذه هي المجموعة الخامسة من "اللمع في خطب الجمع" أقدمها لإخواني في الله من طلبة العلم ومحبي الخير، مشتملة على تذكرة وعظة في موضوعات مهمة، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بما قبلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه.

الفهرست

الخطبة	الصفحة
مقدمة	١
الفهرست	٢
في بيان تحريم وتجريم تمويل أهل الإرهاب	٤
التذكير بالموت هادم اللذات	٨
الوصية (١)	١٠
الوصية (٢)	١٤
الوصية بالأدب	١٦
من جوامع اخبارات النبي صلى الله عليه وسلم الصادقة وحكمه الحكيمة	١٩
في نعمة اللباس والتحذير من ألبسة بعض الناس	٢٣
قسوة القلوب حقيقتها ومظاهرها وأسبابها وعلاجها	٢٧
وظائف المكلفين	٣٢
جمل من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فيما ينبغي أن تغتنم به الحياة من خصال الخير	٣٤
في بيان كثرة وتيسير خصال الخير	٣٨
الكسوف والخسوف	٤١
في التذكير بشيء من نعم الله تعالى	٤٨
الوصية بالصدق والتحذير من الكذب	٥٠
المعصية: حقيقتها وأنواعها وكفارتها وشؤم الإصرار عليها	٥٢

في جوامع من الكلم وجمل من الحكم وطاعة ولي الأمر بالمعروف	٥٩
فضل طلب الرزق وتعاطي أسبابه	٦٢
التحذير من خطر المخدرات ووجوب محاربة أهلها	٦٦
خطبة متضمنة جملاً مأثورة في البركة والتبرك	٧٢
في البركة والتبرك	٧٥
الحث على تعاطي أسباب الرزق المشروعة والمباحة	٧٩
الرحمة شأنها وعظم ثوابها	٨٢
لزوم السنة ومن أمثلتها السواك	٨٤
في التوبة والإصلاح	٨٩

في بيان تحريم وتجريم تمويل أهل الإرهاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على منهاجه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والعمل بما فيه رضاه، والحذر من كل ما يسخطه ويأباه، فإن تقوى الله للتقي من النار جنة، ونعمة المورثة صاحبها الجنة قال تعالى:{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} وقال سبحانه {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}.

عباد الله: إن من خصال التقى، وخصال أولي العزم والنهى أن ينفق المرء ماله ابتغاء مرضاة الله، وعلى الوجه الذي شرعه الله فقد ذهب أهل الدثور – أي الأغنياء المتصدقون بالأموال الكثيرة – بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم قال تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} وقال تعالى:{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

أيها المسلمون: خذوا حذركم عند إنفاقكم أموالكم ابتغاء وجه الله من أن تضعوها في أيد غير أمينة، أو مشبوهة قد تستغل عاطفتكم وحبكم للخير، فتقترح عليكم مشاريع وهمية داخلية، أو تزعم مشاريع بر خارجية، لتأخذ أموالكم فتوجهها فيما يزيل نعمتكم، ويخل بأمنكم فتحاربكم، وتلحق أنواع الضرر بكم، وتتعدى على جميع حرماتكم، بما خدعتكم به من أموالكم، كفعل أهل التكفير والتفجير نابتة السوء في بلدكم التي تزعم الجهاد، وهي تسعى في البغي والفساد، فإن أولئك الخوارج المارقين، والبغاة المفسدين، قد أخذوا أموال بعض المسلمين بدعوى المشاريع الخيرية، ثم أنفقوها في تنظيم خطط الإرهاب، واشتروا بها وسائل وآلات للإفساد، ونشر الفساد في بلاد الحرمين، ومأزر الدين، فكم أزهقوا من أرواح معصومة، وكم أهدروا من أموال محترمة، وكم نسفوا من أبنية ومؤسسات ينتفع بها ومنها المسلمون، وكم أ شمتوا بنا الأعداء، وكم صدوا طالب اهتداء عن الهدى، وصدق الله العظيم إذ يقول:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

أيها المسلمون: لا يلدغ مؤمن من حجر مرتين، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، فخذوا حذركم، واحزموا أمركم، واعتبروا بما جرى، ولا تخدعوا بأهل الأهواء {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

أيها المؤمنون: لقد انكشف خزي أولئك الإرهابيين المجرمين، وتبين غشهم ومكرهم وكيدهم للمسلمين، وولاؤهم وتعاونهم مع أعداء المسلمين، وظهر أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ويقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان هكذا وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته، وهكذا عرفوا في هذا القرن المتأخر من عمر أمته، فاتقوا الله لا تعينوهم فإنهم كلاب النار، وإنكم إن أعنتموهم فأنتم شركاؤهم في الإثم والخسار، وما يهوي بصاحبه في دركات من النار.

معشر المؤمنين: خذوا حذركم من عدو بين أظهركم، ولا تخدعوا كما خُدع من قبلكم ممن أنفق في هذه الوجوه المشبوهة قبلكم، بل تعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، ومعصية الرسول، فإنكم إن عصيتم فيما أنفقتم، شقيتم بإنفاقكم، وتسببت في عسر أمركم، دنيا وأخرى، اتقوا الله لا تنفقوا أموالكم في إعانة المجرمين، وانتهاك حرمات المسلمين، فتجمعوا بين عظيم الغرم، وكبير الإثم، وتتعرضوا لطائلة التأثيم، وعقوبة التجريم، فإن الخطب كبير، وإن الأمر جُدُ خطير.

أمة الإسلام: إن التكفير وغيره من ضلالات أهل التفجير إرهاب محرم، وجرم مهلك مؤثم وإن إعطاءهم الأموال، وهم جامعون بين الإرهاب والضلال، إثم كبير ،جرم حق خطير، فقد أفتت هيئة كبار العلماء في المملكة بتحريمه، وساقت الأدلة على تجريمه، لأنه من الإعانة على الإثم والتمكين للمفسدين في الفساد، وإيواء المحدثين مثل قوله تعالى:{وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} وقوله سبحانه {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} وقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من آوى محدثاً، وقوله صلى الله عليه وسلم في أكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه – هم في الإثم سواء وما جاء في الشريعة المطهرة من أن الوسائل لها أحكام المقاصد، والأوامر بحفظ الحقوق والعهود في بلاد الإسلام فبناءاً على ذلك كله وما جاء في معناه قررت هيئة كبار العلماء: أن تمويل الإرهاب أو الشروع فيه محرم، وجريمة معاقب عليها شرعاً، سواءً بتوفير الأموال، أم جمعها أم المشاركة في ذلك بأي وسيلة كانت، وسواءاً كانت الأصول المالية، أم غير مالية، وسواءاً

كانت مصادر الأموال مشروعة أم غير مشروعة، فمن قام بهذه الجريمة عالماً، فقد ارتكب أمراً محرماً ووقع في الجرم المستحق للعقوبة الشرعية بحسب النظر القضائي.

ألا فاتقوا الله، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، بارك الله لنا في القرآن ونفعنا بما فيه وما أنزل له من الهدى والبيان، واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

التذكير بالموت هادم اللذات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته ونهج نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأن نصلح دنيانا ونعمل لآخرتنا كأننا نموت غداً فتلكم وصية من وصايا نبينا صلى الله عليه وسلم لنا ومما يروى عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن قوله عليه الصلاة والسلام «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة» وقوله صلى الله عليه وسلم: «أكثر ذكر الموت فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت وإنه لا يكون في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا أجزاه» وقوله عليه الصلاة والسلام: «أكثروا ذكر هادم اللذات – يعني الموت – فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب، ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم».

عباد الله: قال صلى الله عليه وسلم «أتتكم المنية رابية لازمة جاء الموت بما جاء به، جاء بالروح والراحة والكرة المبارك لأولياء الرحمن من أهل دار الخلود الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها لها، ألا وإن لكل ساعي غاية، وغاية كل ساع الموت فالناس سابق ومسبوق»، والمتأخر لا بد له من اللحوق، ولكن جعل الله له في تأخره عبرة وعظة ليستعد للموت قبل نزوله، وليتهيأ للقاء ربه فمن لم يعتبر ويتعظ فهو لاهٍ شقي وعن مصيره غبي.

أيها المسلمون: كفى بالموت واعظاً وباليقين غنى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وإنما يكون ذلكم عند الموت حين يرى المحتضر ما يبشر به بحسب عمله.

معشر المسلمين: إنكم في دار هدنه، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وإن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء وجلاؤها كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن، وإنكم

لو رأيتم الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره وفي مسند الديلمي رحمه الله عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرتين فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه فإذا بكى أهله وجزعوا قال: لم تبكون ولم تجزعون فو الله ما نقصت لكم عمراً، ولا حبست لكم رزقاً وإن لي فيكم لعودة ثم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدا» وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال: «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله.

أيها الناس: في سنن النسائي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حضر المؤمن – أي عند قبض روحه – أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان، ماذا فعلت فلانة فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا كان – يعني ميتا – قال أما أتاكم قالوا ذهب الأمة الهاوية وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح أي كفن من النار – فيقولون أي لروحه – اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح كفار – يعني في السجن أسفل سافله وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالوا إنا نكره الموت؛ قال: ليس ذلك ولكنه إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله، والله عز وجل للقائه أحب وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فإذا بشر بذلك كره لقاء الله، والله للقائه أكره».

أيها المؤمنون: سبحان من تعزز بالقدرة وقهر الجبابرة بالموت. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما يبشر به المؤمن روح وريحان وجنة نعيم، وأول ما يبشر به المؤمن أن يقال له: أبشر ولي الله برضاه والجنة قدمت خير مقدم، قد غفر الله لمن شيعك، واستجاب لمن استغفر لك وقبل ممن شهد لك، وما من ميت يوضع على سريرة فيخطى به ثلاث خطى إلا نادي بصوت يسمعه من يشاء الله، يا أخوتاه، ويا حملة نعشاه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم

الزمان كما لعب بي، أترك ما تركت لذريتي، ولا يحملون عني خطيئتي، وأنتم تشيعوني ثم تتركوني، والجبار يخاصمني».

عباد الله: أنتم شهداء الله في أرضه من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، وإنما تثنون على المرء حقاً بعد موته وانقطاع أملكم منه فلا ترجونه ولا تخافونه فتجاملونه والثناء بحسب البينة لا بالأمنية فمن أثنيتم عليه بكثرة ذكر الله وطاعته، وحسن معاملته لعباده وإحسانه إلى مستحقه، وكف الأذى عن ليس أهلا له فتلكم الشهادة بالجنة، ومن ذكرتموه بالغفلة عن الذكر وهجران المساجد، والعقوق وقطيعة الرحم والإساءة إلى الجيران وظلم الخلق والجشع وبذاءة اللسان فتلك شهادة له بالنار وثبت في مسند الإمام أحمد وغيره قول صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً إلا قال الله تعالى قد قبلت علمكم فيه وغفرت له ما لا تعلمون عباد الله: فالمؤمن المشهود له بالخير يستريح بالموت من عناء الدنيا وتعبها إلى الجنة وما أعد الله تبارك وتعالى له فيها من كريم المثوبة والرضوان، فإنما يستريح من غفر له وتقبل عمله. وأما الفاجر فإنه إذا مات يفضي إلى السخط والعذاب، ويستريح منه العباد والشجر والدواب فاعتبروا يا أولي الألباب، واستعدوا ليوم الحساب ولا تغفلوا فإنه ليس بمغفول عنكم ولا بد لكم من الإياب {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم.

الوصية (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وشكره على ما من به علينا من النهج القويم، الذي أنزل به الشرع الحكيم وهدى إليه الرسول الكريم، محمد عليه من ربه أكمل الصلاة وأزكى التسليم قال تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وقال سبحانه {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

عباد الله: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أرحم بكم من الوالد، وأبر بكم من أي أخ كريم، فلا خير إلا دلكم عليه، وكان أسوتكم في المبادرة إليه، ولا شر إلا نبهكم عليه، وكان صلى الله عليه وسلم أولكم في البعد منه، والنأي عنه، وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم» وقال صلى الله عليه وسلم «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي» وقال عليه الصلاة والسلام «ومن رغب عن سنتي فليس مني»، وقال صلى الله عليه وسلم «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

أيها المسلمون: مما هداكم الله تعالى إليه ووصاكم به في كتابه، وندبكم إليه نبيه صلى الله عليه وسلم وحضكم عليه في كريم خطابه، الوصية بحقوق الله تعالى، وحقوق أنفسكم، وحقوق عباده عليكم، قال تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} الآية وقال صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء – وفي رواية يريد أن – يوصي به يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده، متفق عليه.

معشر المسلمين: الوصية هي العهد المؤكد بالنظر في شيء، أو التبرع بالمال – لغير وارث – بعد الموت – وهي من محاسن الدين الإسلامي أن جعل من حق المسلم أن يعهد بما يبريه نفسه وغيره من ماله – لا يبر بغيره – بعد وفاته قال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

أيها المؤمنون: فالحكمة من الوصية شرعاً أمران.

الأول: إبراء ذمة الموصي من حقوق تعلقت بها لله تعالى من نذر أو زكاة أو صوم أو حج لو فجأه الموت دون أن يتمكن من أدائها بنفسه أو لأحد من خلق الله من دين أو وديعة ونحوهما.

الثاني: الاعتناء بمزيد من البر يستمر له بعد الموت كالوصية بالصغار وتنمية الوقف وحسن تصريفه وفق الوصية العادلة فالوصية بهذا دلالة على التقوى، ومحاسبة النفس، والاستعداد للقاء الله عز وجل على صلاح سريرة، وجمال سيرة، والخوف من أسباب الخسران، وموجبات النقصان.

معشر المؤمنين: اعلموا أن كتابة الوصية لا تقرب أجلاً، ولا تقطع أملا، بل هي من الحزم، وفعل أولي العزم، وحسن نظر المرء لنفسه وغيريها في حياته، وبعد وفاته، وهي كذلكم عون لأولياء المرء لو فجأة أجله، على نفعه وإبراء ذمته من حقوق الله تعالى وحقوق خلقه، وقد قال تعالى في تنزيله الكريم {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} وقال رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم «من أخذ أموال الناس وهو يريد أدائها أدى الله عنه ومن أخذ أموال الناس وهو يريد إتلافها أتلفه الله» وكتابة الوصية من أدل الدليل على الحرص على أداء الحقوق خشية من الخالق وبراءة من حق المخلوق.

أمة الإيمان: بادروا مناياكم، بصالح أعمالكم وبصادق وصاياكم، قبل أن تبلغ الحلقوم، وتفضوا إلى الحي القيوم، فإن القوى في انقضاض، والأعمال في انتقاص، والآجال مغيبة، والمنايا لا تأتي إلا فجأة.

معشر المؤمنين: انتفعوا من أموالكم، ما دامت لكم وفي أيديكم، وما دمتم في فسحة من آجالكم، وفي مهلة لزيادة صالح أعمالكم، ففي التنزيل المصون {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أفضل الصدقة قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»، وفي سنن أبي داود وصحيح ابن حبان رحمهما الله عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة عند موته».

أمة الإسلام: إن الوصية بالخير منحة من الله تعالى لعبده عند انقطاع عمله، وإدباره عن دنياه وورثته فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «يا ابن آدم اثنتان لم تكن لك واحدة منهما – يعني فمننت بهما عليك – جعلت لك نصيباً من مالك حين

أخذت بكظمك – أي الوصية بشيء من مالك بالخير لنفسك – عند موتك، لأطهرك به وأزكيك، وصلاة عبادي عليك، بعد انقضاء أجلك علي » – رواه ابن ماجة وفي الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل المسلم ليضع في ثلثه عند موته خيراً فيوفي الله بذلك زكاته، وفيه أيضاً عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع من زكاته في حياته».

ألا وإن الله تعالى أعطاكم ثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في أعمالكم وفي البيهقي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفوراً له».

وفي البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المحروم من حرم الوصية».

أمة الإسلام: إن شرك الوصية – مع الحاجة إليها – من وجود حق لله تعالى أو لعبادة في ذمة العبد عار في الدنيا وخسران في الآخرة، ومن لم يوصي لم يؤذن له في الكلام مع الموتى.

– هكذا نقل عن بعض السلف، ونقل كذلك إن الله تبارك وتعالى قد قسم الميراث بنفسه على قرابة الإنسان الذين هم أولى به، فقسم التركة بين الآباء والأزواج، والأولاد والحواشي أحسن قسمة وأوضح منهاج وقال سبحانه محذراً من الجور والاعوجاج .. آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً، وقال نبيه المبلغ عنه دينه محمد صلى الله عليه وسلم إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث، فلا يحل لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يوصي لأحد من ورثته بشيء من أعيان ماله أو شيء من منافعه أو غلاته مدة معينة أو أبدية فإن تخصيص بعض الورثة بزيادة وصية معصية كبيرة ومظلمة لبعض الورثة خطيرة، وتحدث بينهم عداوة وقطيعة ومفاسد كثيرة. لأنها زيادة على الفرض، الذي فرضه رب السموات

فالموصي بزيادة بعض الورثة عن حقه أو حرمان أحدهم من مستحقه، قد عصى المعبود، وتعدى الحدود، وأوجب لنفسه النار، وبئس ما اختار قال تعالى في سياق قسمة المواريث {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}.

فبادروا – عباد الله – الوصايا قبل المنايا، واعدلوا فيها تصلح السرائر والنوايا، واحذروا الجور في الوصايا فإنه موجب للائمة، وسبب لسوء الخاتمة، وموجب للفتنة والشر بين الورثة وربما كان

من أسباب نزع البركة من التركة وربما فتح عنه العقوق والشقاق، وغضب الله تعالى على الجائر في وصيته يوم التلاق فاختموا بخير واتقوا الشر فإنه {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} بارك الله لي ولكم في القرآن.

الوصية (٢)

أما بعد أيها الناس اتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون.

عباد الله: ما من أحد يحضره الموت إلا تمنى الرجعة فالمحسن ليزداد، والمسيء ليستعتب، قال تعالى {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} وقال سبحانه {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ألا وإن ذكر الموت لا يعجل أجلاً، ولا يقطع عملا، ولا يبدد أملا، وإنما يحفز العاقل على الاجتهاد في صالح العمل، والمبادرة بالتوبة من الخطيئة والزلل، وتعاطي أسباب براءة الذمة مما هي مرتهنة فيه من حقوق الخلق أو حقوق الله عز وجل، فأعقل الناس أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً، وأحمقهم وأغفلهم عن ذكره وما ينبغي له.

أيها المسلمون: إن من الحزم وفعل أولي العزم مبادرة الأجل بالوصية الشرعية، التي تعين على براءة الذمة وإيصال الخير إلى مستحقه من الأمة قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ} الآية وقال سبحانه {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ} الآية فشرع سبحانه الوصية والإشهاد عليها لتوثيقها وجعل ذلك من منته تعالى على عباده، ومن زاد المرء لمعاده ومن الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما حق امرئ له شيء يريد أن يوصي به بيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده.

قال ابن عمر رضي الله عنهما فلم تمضي علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا ووصيتي مكتوبة عند رأسي.

معشر المسلمين: ولقد كان السلف الصالح رحمهم الله يصدرون وصاياهم لذويهم أولا بالتذكير بالأمر المهم بذكر الاعتقاد الحق، والعمل الصالح، والهدي المستقيم، وأما الأمر الثاني مما يذكرونه في وصاياهم فهو ذكر ما لهم، أو عليهم، من الحقوق التي لله تعالى، من حج أو نذر أو زكاة ونحوها أو التي لعباده مما عليهم أو لهم من الحقوق التي للخلق تفصيلا ليعينوا ورثتهم على تحصيلها أو أدائها، أداءاً للأمانة وضبطاً للتركة وتسهيلاً على الورثة.

معشر المؤمنين: وأما الأمر الثالث الذي يضمنونه وصاياهم – إن تركوا خيراً – أي مالاً كثيراً – فهو الوصية للقرابة غير الوارثين، ولمحاويج المسلمين، ولمن له شأن في إقامة الدين بالثلث أو أقل فيما يراه الموصي من وجوه البر ويحدد الوصي، والموصى به، والموصى له، من غير مضارة بالوصية

لأحد فإن الضرار في الوصية من الكبائر وذلك بتخصيص أحد من الورثة من الأولاد أو البنات أو الوالدين أو الزوجات بوصية زيادة على ما قسم الله تعالى له في كتابه وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأمضاه في سنته وذلك جور وظلم يؤدي إلى أن يختم للموصي بشر عمله وتجب له النار قبل موته ففي المسند وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف – أي جار – في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وفي السنن عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة فيضاران في الوصية فتجب لهما النار.

ألا وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم.

الوصية بالأدب

الخطبة الأولى

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تبارك وتعالى وتحلوا بالأدب الكريم الذي جاء به الشرع القويم واقتضاه العقل السليم فإن الأدب الكريم وعاء العلم، وسياج الإيمان وعنوان الحكمة وآية الخشية، وهو سبب السعادة، ومنجاة من الشر، وجماع الخير فإنه من أعطى الأدب أعطي الخير في الأولى والآخرة، ومن حرمه حرم الخير في العاجلة والآخرة.

أيها المسلمون: الأدب رياضة النفوس ومحاسن الأخلاق، فهو يصدق على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، أو هو ما يحترز به عن جميع أنواع الخطاء. وهو فيما يتعلق بالسلوك: حسن الأحوال في القيام والقعود وحسن الأخلاق والصفات الحميدة.

معشر المسلمين: وحقيقة الأدب: مكارم الأخلاق أي استعمال الخلق الجميل، وذلك لأن الأدب يظهر ما في الطبيعة من الكمال في القول، والفعل والحال. أي استعمال بما يحمد قولاً، وفعلاً، وحالاً، فهو الأخذ بمكارم الأخلاق مثل: توقير من فوقك، والرفق بمن دونك، وأن تواسي بفضلك، وأن تعامل نظيرك بمثل ما تحب أن يعاملك، وعلى العموم فتطبيقه بأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك، عملاً بالقرآن العظيم، وتأسياً بسنة النبي الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

معشر المسلمين: وعلى ضوء ما سبق يتقرر أن الأدب هو: تصرف المرء مع غيره تصرفاً لائقاً بالمقام وحسب الحال على وفق هدى الشرع القويم فيتأدب المرء مع ربه تبارك وتعالى في جميع الأحوال بحسن الطاعة، وترك المخالفة مع كمال الحب والذل وصدق الرجاء وكمال التعظيم والإجلال والخوف وحسن الظن بحيث يتبادر إلى طاعته، وينكف عن معصيته ويتوب إليه من التقصير في حقه، ولا يتلفت بشيء من حقه إلى أحد من خلقه ولا تتعلق إرادته بشيء مما يبغضه ربه ويمقته.

فالأدب مع الله تعالى هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً، ولن يستقيم العبد مهما كان شأن الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة أشياء.

الأول: معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، ومعانيها وآثارها في الأنفس والآفاق والتوسل إلى الله تعالى بها، ثناءاً ودعاءاً، وتوكلاً واستعانة ورجاءاً وخوفاً، وتعظيماً ومحبة أو تسليماً لله تعالى في قدره وفعله، وعلمه ومشيئته وفضله ورحمته وعدله وحكمته.

الثاني: مما يستقيم به الأدب مع الله تبارك وتعالى: العمل بدينه سبحانه أي بما يحبه ويكرهه وكيفية أداء ما يحبه وترك ما يكرهه.

الثالث: أن تكون للمتأدب مع الله تعالى نفس قابلة لينة، مستعدة متهيئة لقبول الحق علماً أو عملاً وحالاً بحيث تنقاد مبادرة مسابقة إلى فعل ما يحبه الله ويرضاه حسب الاستطاعة وترك ما يكرهه ويمقته ويأباه والبعد والنأي عنه.

أيها المؤمنون: وأما الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فيكون بالتصديق والجزم بنبوته ورسالته وكمال محبته بحيث يكون أحب الخلق إلى المرء لعلمه بمحبة الله تعالى له وأنه تعالى تعبد المكلفين بمحبته، والإيمان بعظم خلقه وكمال هديه وحسن سيرته وكمال رأفته صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين ورحمته ، وتحقيق مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله بأن يصدقه فيما أخبر ويطيعه في كل ما أمر ويجتنب سائر ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وزجر، ولا يعبد الله تعالى إلا وفق ما بين وفعل وسن ومن تحقيق ذلك ألا يرفع صوته فوق صوته ولا يعارض سننه بهواه ورأيه، ولا يقول قبل قوله، ولا يفعل ما يخالف ويعطل سننه ولا يجفو في شيء من حقه، ولا يعطيه شيئاً من حق وخصائص ربه.

معشر المؤمنين:

وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق ويتعين لهم شرعاً وعقلاً فمع السلطان وولي الأمر العام والتعظيم والإجلال، وحسن النصيحة والطاعة بالمعروف، وترك الطاعة في المعصية وترك التشهير والتحريض والإفتيات، عليه ومع الوالدين البر والإحسان واللين والإكرام، وترك التأفف والتبرم فضلاً عن سوء القول وقبح الفعل، ومع الزوجة العشرة بالمعروف، والغض عن الهفوة، والتغاضي عن بعض الحق، رغبة في تحقيق المودة والألفة، والحرص على الأفضل في كل أمر، ومع الولد بالحب والحنان، والتأديب على ما يحقق ويكمل الإيمان، والزجر عن أنواع الفسوق، والعصيان، ومع الجار بأداء حقه، وترك ما يؤذيه أو يشق عليه وهكذا المسكين. واليتيم، والضعيف، والصاحب بالجنب، والشريك مع البعد أو القرب، بمراعاة ما وصى الله تعالى به لهؤلاء، وسن نبيه صلى الله عليه وسلم في معاملتهم مع رعاية قرب الصلة وحسن الإخاء.

معشر المؤمنين: وأما أدب المرء مع نفسه فيكون بأن يلتزم معها ويجاهدها على التحلي بما يجمله ويزينه، والتخلي عن كل ما يدنسه ويشينه، وجامع ذلك أن يتحلى بالخلق الحسن الذي هدى إليه القرآن، وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من بيان، وأساسه التخلي عن الكبر

والإعجاب والحسد، ومع الخلق، بالتحلي بالتواضع والحلم، ومحبة الخير للناس، وإيثار الحق، فيبذل الندى ويكف الأذى، ويحتمل المؤذي، ويعفو مصلحاً عن المسيء، ويصبر عند العسر، وينتظر الفرج واليسر، ويفعل المعروف، ويفرج عن المكروب، ويغيث الملهوف، وييسر على المؤسر، وينظر المعسر كل ذلك لله وبالله طمعاً في حسن العقبى كريم الثواب وحذراً من السوئى وشديد العقاب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}.

بارك الله لنا في القرآن، وثبتنا على الإيمان وتاب علينا من موجبات العقوبة والخسران.

من جوامع اخبارات النبي صلى الله عليه وسلم الصادقة وحكمه الحكيمة

الخطبة الأولى

الحمد لله أحمده، وأستعينه وأسأله للجميع الكرامة بعد الموت، فإن الآجال قريبة والمنايا مغيبة، وكل آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أرسله الله تبارك وتعالى بالحق، بشيراً ونذيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضل ضلالاً بعيداً.

أما بعد: فأوصيكم – عباد الله – ونفسي بتقوى الله، فاتقوا توقوا، واحذروا ما حذركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، ألا وإن الله تبارك وتعالى قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم، وما نجا به من نجا من صالح سلفكم، وأوضح لكم في كتابه، وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم حلاله وحرامه، وما يحب من الأعمال وما يكره فتدبروا القرآن، وتمسكوا بالسنة، تنجو من الفتنة وتجنبوا النار، وتدخلوا الجنة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً.

أيها الناس سألقي عليكم من جملة من اخبارات النبي صلى الله عليه وسلم وأجوبته الصادقة الحكيمة إنه لا دين لمن لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله، ومن لا يغفر لا يغفر الله له، من لا يتوب لا يتوب الله عليه، ومن يعتد عملا يمت عليه، ومن مات على عمل بعث عليه، فالزموا صالح العمل، وتوبوا من القبائح والزلل واستعدوا في سائر لحظاتكم للقاء الله عز وجل.

عباد الله: روى ابن جرير رحمه الله بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال: ابن آدم أربع خصال، واحدة منها لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين عبادي: فأما التي لي عليك فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فما عملت جزيتك به، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين عبادي فأرض لهم ما ترضى لنفسك.

أيها المسلمون: روى أن الله عز وجل: قال وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية، ولا أهل بيت، ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل قرية ولا أهل بيت،

ولا رجل ببادية، كانوا على ما أحببت من طاعتي، ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي.

معشر المسلمين: وجاء في صحيح ابن حبان رحمه الله وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فجلست إليه فقال: أيا أباذر: إن للمسجد تحية، وتحيته ركعتان، فقم فأركعهما، قال فقمت فركعتهما ثم قلت: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة: قال خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر، قلت أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل قال: إيمان بالله وجهاد في سبيل قلت فأي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال أحسنهم خلقاً قلت فأي المسلمين أسلم؟ قال من سلم الناس من لسانه ويده قلت فأي الهجرة أفضل؟ قال من هجر السيئات قلت فأي الليل أفضل – يعني للصلاة والدعاء – قال جوف الليل الآخر أو قال الغابر. قلت فأي الصلاة أفضل قال طول القنوت قلت فما الصيام؟ قال فرض مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة قلت فأي الجهاد أفضل؟ قال من عقر جواده وأهريق دمه قلت فأي الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها، قلت فأي الصدقة أفضل قال جهد مقل تسر إلى فقير.

أيها المؤمنون: وفي حديث أبي ذر السابق أيضاً قال رضي الله عنه قلت يا رسول الله صلى الله فما كان في صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال. كانت أمثالاً كلها أي حكم.

أيها الملك المسلط المغرور المبتلى إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعض على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر – وكان فيها أمثال – أي حكم – على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها بصنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم المشرب.

معشر المؤمنين: ومما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي ذر رضي الله عنه السابق – مما اشتملت عليه صحف إبراهيم من أمثال – أي حكم – وعلى العاقل أن لا يكون ضاعنا – أي مسافراً أو مشتغلاً – إلا في ثلاث: تزود لمعاد، حرمة لمعاش، ولذة في غير محرم، ومن حكمها كذلك – على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

أمة الإسلام والإيمان: وقال أبو ذر رضي الله عنه في حديثه السابق قلت يا رسول الله فما كان في صحف موسى عليه السلام: قال كانت عبراً – أي مواعظ كلها – عجبت لمن أيقن بالموت ثم

هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها لأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل.

أمة القرآن: للحديث صلة – فاتقوا الله تفلحوا في الدنيا والأخرى، وتدبروا القرآن فإنه لكم هدى وذكراً، وتأسوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم تأمنوا من الضلال بعد الهدى، واتبعوا السلف الصالح بإحسان، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من الله من أولياء ثم لا تنصرون.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه أحمده سبحانه حق حمده، وأشكره على سابغ كرمه وجوده، واشهد أن لا إله إلا الله فلا معبود بحق سواه وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ومصطفاه خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، وسيد الناس أجمعين وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: في ختام حوار أبي ذر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه السابق قال قلت يا رسول الله هل كان فيما أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال يا أبا ذر ألم تقرأ {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} قال أبو ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، قال قلت زدني: قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء قال قلت زدني: قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه، قلت: زدني. قال: عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك، قلت زدني: عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام قلت زدني: قال: أحب المساكين وجالسهم، قلت زدني قال: أنظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك – يعني في الدنيا – فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، قلت زدني قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت زدني قال: قل الحق وإن كان مراً، قلت زدني قال ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى ربك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي، يا أبا ذر. لا عقل كالتدبير – أي في رضى الله، ولا ورع كالكف – أي عن محارم الله – ولا حب كحسن الخلق رأى مع عبادة الله.

عباد الله قال تعالى قولا كريما {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلى الله عليه به عشرا فأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم صلى الله عليه وسلم يعظم لكم أجرا ويغفر لكم وزرا ويرفع لكم ذكرا.

في نعمة اللباس والتحذير من ألبسة بعض الناس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله لكم خير لباس، واشكروه تبارك وتعالى على ما أنزل لكم من فنون اللباس، حيث جعله الله لكم سترا وزينة، وراحة لنفوسكم وطمأنينة قال تعالى مذكر لعباده بعظم هذه المنة ليذكروا آلاءه ويشكروا النعمة {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}.

فامتن تعالى على بني آدم بلباسين أحدهما لباس تستر به العورات، ويتزين به للمناسبات، ومختلف الاجتماعات، وهو لباس الأبدان من أنواع الثياب، ذات الألوان المنسوجات من الكتان وما أوجده سبحانه لبني الإنسان.

الثاني اللباس: المعنوي الذي تتحلى به القلوب، وتتجمل به لعلام الغيوب، وهو التقوى التي هي الطاعة، أجمل حلة وأنفس بضاعة، ينال بها خير المطلوب في الدنيا والآخرة، وتبقى به المرهوب كله في العاجلة والآجلة.

عباد الله: وبعد أن ذكر تبارك وتعالى عباده بنعمته بإنزال اللباسين حذر العقلاء من مكائد الشيطان اللعين، المزين لمن أطاعه من المكلفين، نزع اللباسين، فيتزعوا اللباس وتتحقق منهم كبائر المنكرات، من الزنا واللواط وغيرها والموبقات، ويتزعوا اللباس المعنوي لباس التقوى بما يوقعهم به من أنواع المخالفات الموجبة للإثم ومتنوع العقوبات.

عباد الله: تحلو بلباس التقوى، وتجملوا بما أحله الله وأباحه لكم من الألبسة الأخرى، مغتبطين بالنعمة، متبعين السنة غير باغين ولا معتدين في اللبسة تفلحوا وتزكوا، ولا تشقوا ولا تحسروا، وأكثروا من لبس البياض ولا تخالفوا الشرع في الخياطة واللبسة تبرؤا من الإعراض.

أيها المسلمون: ثبت في سنن أبي داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم " في سنن النسائي ومستدرك الحاكم عن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم.. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف تعني من قطن – ليس فيها قميص ولا عمامة.

أيها المسلمون: ولقد كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القمص وهي لباسكم الذي تلبسونه الآن ففي السنة لأبي داود عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أحب الثياب إلى النبي صلى الله عليه وسلم القمص. وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ – أي مفصل الكف من الذراع. رواه أبو داود.

معشر المسلمين: ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من إسبال الثياب وتوعد عليه بأشد ألوان الوعيد ومتنوع العقاب.

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من جر ثوبه خيلا لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار "رواه البخاري" وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم قال فقرأها للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار قال أبو ذر: خابوا وخسروا؟؟ من هم يا رسول الله قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب " رواه مسلم.

معشر المسلمين: وإذا كان الله العظيم قد توعد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم المسبل إزاره بأن لا ينظر إليه يوم القيامة ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم فذلك دليل على أن الإسبال من كبائر الذنوب الموجبة لغضب ولعنة علام الغيوب، فإن الكبيرة عند أهل العلم والإيمان هي كل ما توعد الله عليه بغضب أو لعنة أو خزي أو عذاب أو حد في الدنيا أو نفي فلاح ودخول الجنة في الآخرة، فاحذروا الإسبال، تتقوا غضب وعقوبة ربي العزة والكبرياء والجلال.

أيها المؤمنون: وإذا كانتِ الخيلاء من البطر والكبر والمنازعة لله تعالى فيما هو من أخص خصائصه مما يوجب شدة غضبه وأليم عقابه على المتصف بالخيلاء فإن اعتياد إسبال الثياب من الخيلاء شاء صاحبه أم أبى بالنص الصريح الصحيح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة "رواه أبو داود والنسائي" بإسناد صحيح، وقال صلى الله عليه وسلم وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة "رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل.. وقال عليه الصلاة والسلام فما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه.

معشر المؤمنين: وكما يكون الإسبال المتوعد عليه بأشد الوعيد في الثوب فإنه يكون كذلك في السراويل والبنطال لقوله صلى الله عليه وسلم الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم: ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار.

معشر المؤمنين: وكما أن من تقوى الله تعالى في اللباس أن يختار الرجل ثيابه من الألوان البيضاء ويكثر منها ولا بأس بالألوان الأخرى إلا أن الأبيض أفضلها ويتجنب الإسبال لأنه من المخيلة والكبر والبطر فإن عليه أن يتجنب كذلك في ثيابه ما فيه تشبه بالنساء والكفار وألبسة الحرير لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكفار والنساء وما فيه تشبه بالشيطان وعن لبس الذهب والحرير ونحو ذلكم من الألبسة المحرمة التي لعن النبي صلى الله عليه وسلم من لبسها وتوعده بالنار أو عدم دخول الجنة أو عدم نظر الله تعالى إليه وتكليمه يوم القيامة وبالعذاب الأليم. فإن على المرء كذلك أن يتوسط في لباسه وأن يجتنب لباس الشهرة الذي يستنكره الناس ويستكثرونه عليه قال صلى الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم إنما يلبس الحرير من لا أخلاق أي لاحظ له في الآخرة وقال الحذيفة رضي الله عنه نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه رواه البخاري وعن أبي المليح رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع أن تفترش ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل.

كما لعن صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

معشر المؤمنين: ومن الألبسة المحرمة على الرجال اللباس الخفيف الشفاف الذي يصف لون البشرة فإنه قد لا يستر في الصلاة كالذين يلبسون هذا النوع من الثياب ثم يلبسون سراويل قصيرة دون الركبة أو لإنصاف الفخذين فإن الفخذ عورة ويجب ستره خاصة في الصلاة فمن انكشفت بعض فخذه في الصلاة عمداً بطلت صلاته لأنه لم يتحقق منه ستر العورة وستر العورة أحد شروط صحة الصلاة. وفي حكم ذلكم الألبسة الضيقة كالبنطال والسراويل الذي يبين حجم الأعضاء فاجتنبوا عباد الله هذه الألبسة في حياتكم عامة وفي صلاتكم خاصة ولا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما فإن مخالفة السنة في اللباس تبطل العبادة، وتعرض للفتنة، وتفتح مداخل الشيطان على الإنسان، وتعرض المخالف للعنة الله، وسخطه وغضبه، وأليم عقوبته.

قسوة القلوب حقيقتها ومظاهرها وأسبابها وعلاجها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنه من اتقى الله وقاه، ويسر أمره وزاده من هداه، وغفر له ورحمه وأحل عليه رضاه.

أيها الناس: تدبروا القرآن وما ثبت له عن النبي صلى الله عليه وسلم من هدى وبيان، فإن الكتاب والسنة منجاة من كل فتنة مهلكة، وهدى للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة قال تعالى: {كِتابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} وقال سبحانه {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا(٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}.

أيها الناس: لقد تكرر في التنزيل الكريم، والذكر الحكيم، من ربكم جل وعلا، وبيان نبيكم الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، التحذير من قسوة القلوب، والتنبيه على مظاهرها ودلائلها، والتخويف من مخاطرها، وعقوباتها، في العاجلة والآجلة، تذكيراً لأولي الألباب، وهادي لمنهاج الحق والصواب، قال تعالى {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وفي مسند البزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقساء القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا» وقال مالك بن دينار رحمه الله: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم.

أيها المسلمون: قسوة القلوب هي شدتها وصلابتها وغلظها، ويبسها، والقسوة من صفة الحجارة، والحجارة لا تطوع للغرض منها إلا بكسرها، ولذلك شبه الله القلوب القاسية بالحجارة، بل أكد سبحانه أن القلوب القاسية أشد من الحجارة قسوة، فقال سبحانه في موعظته لبني إسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم المكذبين لرسالته، الرادين لما جاء به، المعرضين عنه،

بما جرى من أسلافهم الذين قست قلوبهم، فعوقبوا بذنوبهم، موعظة لهم، وتحذيراً لهذه الأمة من ضلالهم وعقوبتهم، {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} ثم استدرك سبحانه منبهاً عن أن من الحجارة ما هو ألين وأنفع للناس من قلوب هذا الملأ من بني إسرائيل فقال: {وَإِنَّ مِنْ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} وفي ذلك من الوعيد على قسوة القلوب ما لا يخفى، فأحوال القلوب معلومة، والأعمال محفوظة، والعقوبة منتظرة، إن عاجلاً أو آجلاً، وكل آت قريب، قال سبحانه {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

معشر المسلمين: لقد اشتملت الآيات والأحاديث المشتملة على الوعظ والتحذير من قسوة القلوب على ذكر جملة من العلامات والمظاهر الدالة على مرض القلب بالقسوة فمن تلك العلامات والمظاهر: الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية، وعدم الإتعاظ بما يجريه الله تعالى فيما حولهم من العقوبات الكونية العامة، ومنها هجر القرآن، والغفلة عن ذكر الله ودعائه مع شدة المصائب، ومنها قطيعة الأرحام، والجفاء للفقراء والمساكين والأيتام، ومنها هجر مجالس الذكر، والتقصير والتباطؤ في امتثال الأمر، ومنها المسارعة إلى شهوات النفوس والإصرار على المنكر، ومنها التعلق والتفاخر بزينة الحياة الدنيا، ونسيان الموت وكراهة ذكره، والتذكير به، والإعجاب بالرأي واتباع الهوى، والزهد في منهاج السلف الصالحين، والتشبه بالمجوس واليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين، وغيرهم من الكفرة والمشركين

أيها المؤمنون:

إن لقسوة القلوب أسباباً يقع فيها بعض الناس مستهينين بها فمن تلك الأسباب كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى ففي الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي».

ومن أسباب قسوة القلوب التوسع في الغنى وكثرة الشبع. قال تعالى {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى} ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة الشبع وأخبر أنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شرا من بطنه.

معشر المؤمنين: وكم للأكل المتشابه والحرام من الأثر البليغ في قسوة القلوب ولذلك اشتهر اليهود بقسوة القلوب وغلظ الطباع بسبب أكلهم الحرام من الربا والرشا ونتاج الحيل الباطلة على الله وعلى عباده يأكلون بها الأموال وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الحلال بين والحرام بين ... الخ. وفي آخره ألا إن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب» فإن الترابط بين أول الحديث وآخره بيان أثر المأكل في صلاح القلب أو فساده.

معشر المؤمنين: ومن أعظم موجبات قسوة القلوب مجالسة أهل الخوض في الشبهات والشهوات قال تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} وقال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فمجالسة أهل الخوض في الباطل والاستماع والقراءة للذين يشككون في أحكام الله، ويجادلون بالباطل ليسيروا الأمة في ركاب الكفرة سبب وإمرة على قسوة القلوب الموجبة لسخط عقوبة علام الغيوب.

معشر المؤمنين: وكذلكم فإن الاستماع للمعازف والغناء والمزامير، وخلطة النساء الأجنبيات، والخلوة بهن، من أعظم مسببات قسوة القلوب ومرضها قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}. وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} وقال سبحانه {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ونهى صلى الله عليه وسلم أن تسافر المرأة إلا مع ذي محرم».

أمة الإسلام: إن قسوة القلوب من كبائر الذنوب، التي يقع فيها الأفراد والشعوب، وهي مرض عضال، وداء قتال، ولذا رتب الله جل وعلا عليها وعيداً شديداً فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه، من القاسية قلوبهم، فإن اللعنة تنزل عليهم وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى «فإنهم ينتظرون سخطي».

أمة الإسلام: لقد كثرة الآيات والأحاديث المشتملة على وعيد القاسية قلوبهم بألوان من الوعيد، وضروب من التهديد، الذي تقشعر له الجلود وتتصدع من غلظة القلوب، فاحذروا قسوة القلوب، فإنها أمارة هلكة، وموجبة سخط، وسبب لعنة وعقوبة والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه.

فاحذروا موجبات قسوة القلوب، وداووها بما يذهبها ويرققها ويلينها تتقوا السؤى، وتحمدوا العقبى في الدنيا والأخرى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} الآية من سورة الحديد.

بارك الله لي ولكم في القرآن.

الخطبة الثانية

الحمد لله على الهدى، ونشكره على سابغ النعمى ونسأله العافية من البلاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

وأشهد أن محمدا عبده المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الدين والهدى.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله، واذكروه تنالوا رضاه، واحذروا قسوة القلوب فإنها تبعدكم عن الله.

أمة الإيمان: كل داء له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، وقسوة القلوب مع أنها من الأدواء الخطيرة والكبائر الكبيرة فإنها تداوى بأنواع من الأدوية فلقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً شكى إليه قسوة قلبه فقال: «إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم» أي عطفاً عليه ورحمة وهكذا فقد أرشدت، آيات محكمة وأحاديث صحيحة، إلى جملة أدوية لقسوة القلوب، منها تلاوة القرآن، وكثرة الذكر، والإلحاح على الله تعالى بالدعاء ومنها كثرة الصدقة والتنوع في الإحسان وكذلكم فإن من علاج قسوة القلوب: عيادة المرضى، والاتعاظ بحال أهل البلاء، وشهود الجنائز، وزيارة المقابر، وتذكر النعم، واستحضار أنواع ألطاف ذي الجود والكرم، فكم أسبغ سبحانه على عبده من نعمه، وأنجى من هلكة، ودفع عنه من سقم، وصرف عنه من بلية وكشف من ضر، ونفس من كرب، فكل هذه الأمور وأمثالها كثير مما يلين القلب، ويحبب العبد إلى الرب، ويذرف الدموع، ويرقق الطبع، وينشط الهمة والجوارح إلى صالح

العمل، ويذهب القنوط والكسل، ويحمل على الاعتراف بالذنب وصالح التوب والله تعالى يحب التوابين والمتطهرين ويجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين.

ألا وأكثروا الصلاة على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فإنها مما يستجاب به الدعاء، وتحفظ به النعمى ويصرف به البلاء، وتكفر به السيئات، وترفع به الدرجات قال تعالى قولا كريما {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وظائف المكلفين

الحمد لله الذي خلق الجن والإنس ليعبدوه. وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته ونعمه ليعرفوه.

أحمده سبحانه علم أن لن تحصوه، فتاب عليكم فتوبوا إليه واستغفروه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحجة لا شريك له هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعلم الناس بربه واشرف من أنزل عليه كتاب، وأخشى المؤمنين لله تعالى وأتقاهم له فنعم العبد الأواب.

صلى الله وسلم عليه وعلى جميع الآل والأصحاب.

صلاة وسلاماً كاملين دائمين إلى يوم القيامة لرب الأرباب.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، وتنافسوا في أسباب مرضاته، وسابقوا إلى مغفرته وجناته. فإن الَنَّفَسَ معدود والأمد محدود، والأجل موعود، فإذا حضر الأجل فقد أن أوان انقطاع العمل، وفات وقت الاعتذار عن التقصير والزلل ألا فاغتنموا فرصة الإمهال، وتنافسوا في صالح الأعمال وأخلصوا لذي الكرم والجلال وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون. ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كننت لمن الساخرين. أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين. أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين.

عباد الله. لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وخصه بألوان من التكريم، وهداه لما خلقه له، وأمره أن يحسن عمله ويخلص له، وأودع فيه ملكات ومواهب، وطاقات وخصائص، يتحقق باستخدامها وتوظيفها من مجالها على وفق الشرع عبادة الله تعالى، وعمارة الكون ومصالح البشر، وسعادة الدنيا، وفلاح الآخرة فليكلف كل امرئ ما يطيق، وليعمل فيما يحسن، وليُسْتَعْمَلُ كل شخص فما لديه من ملكة، وما أوتي من موهبة. والفضل بينهم بالتقوى وحسن العمل، وأسعدهم دنيا وأخرى أخلصهم لله وأتبعهم. لهدى عبده ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث من ربه بدينه وهداه. {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

معشر المسلمين: يشترك المكلفون جميعاً من الرجال والنساء والإنس والجن في جملة وظائف مأمور بها

أولاهن: أن يأتوا من الأمر ما استطاعوا ويأمروا به من استطاعوا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وثانيتهن: أن يجتنبوا ما نهو عنه وينهوا عنه فمن ارتكب ما نهى ولم يجاهر به فلا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر لوزرة وزر أخرى، فإن جاهر العاصي بالمخالفة وجب نهيه عنها ومنعه منها قدر الطاقة.

وثالثتهن: أن يتقوا الظلم والبغي على غيرهم ويستحلوا من ظلموا أو بغوا عليه في هذه الحياة قبل الممات فمن ظلم وبغى فلن يغفر له حتى يغفر له المظلوم والمبغي عليه.

والرابعة معشر المسلمين فهي: أن يتوبوا إلى الله تعالى ويستغفروه من كل ما ارتكبوه من مخالفة وعملوه من معصية، ومن خلل العمل في حق الله عز وجل.

وأما خامستهن فهي: أن يتنافسوا في نوافل العبادات واتقاء الشبهات تقرباً إلى الله عز وجل، وجبراً لنقص العمل، وطلباً لرفعة الدرجة بكثرة صالح العمل، ومحو الخطيئة والزلل.

ألا وإن التقوى تقي من الخطيئة، وإن الحسنات يذهبن السيئات وترتفع بهن الدرجات، ألا وإن في اغتنام مواسم الطاعة، والسبق إلى السنة الحسنة وما تشرع له الجماعة والمبادرة إلى أنجاء من هلكة أو إغاثة ملهوف وإسعاف منكوب. وصلة ذي رحم قاطع أو كاشح، ونصرة الدين والذود عن حرمات المسلمين متجراً رابحاً وفوزاً عظيماً وزلفى لدى الرب تؤهل لسكنى أعلى الجنان يعمل يسير ذي ثواب كبير في وقت قصير.

معشر المؤمنين: ومن الفقه في آيات الله تعالى في الأنفس والأفق وما جاء به الشرع بالاتفاق أن يلتمس المرء بعد الفرائض، أيسر العمل عليه، وأحراه أن يفلح فيه، فيجد فيه مخلصاً لله تعالى قصده، متبعاً لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما يعلم من سننه فيه، مغتبطاً بهداية الله تعالى له إليه، وتيسيره عليه، مغتنماً الفرصة تمكنه منه وقدرته عليه، وقلة المنافس له أو سعة الميدان له ولغيره فقد يسر لعبد الإكثار من نوافل الصلوات التي جاءت بفضلها النصوص ولا سيما مظنة الغفلات والصلاة خير موضع والناس فيها مقل ومستكثر فإن العبد لله يسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يرفع للفردوس الأعلى التي وعد الله بها {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} وقد يتيسر لأحد الناس بذل المال عن غنى نفس ولو جهد مقل أو بالوساطة بين أهل الأموال أو محاويج المسلمين في مختلف البلدان والأزمان والأحوال وقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إنك تنفقن نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها.

جمل من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فيما ينبغي أن تغتنم به الحياة من خصال الخير

الخطبة الأولى

الحمد لله على هداه، وأشكره جل ذكره على سابغ نعماه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على دينه وهداه إلى يوم لقاه.

أما بعد: فيا أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها وصية الله تبارك وتعالى للأولين والآخرين، وخير الزاد لمن تزود بها في الدارين، وهي الواقية من النار، والمورثة الجنة لأهلها مع الأخيار، رزقني الله وإياكم التقوى، ونجانا من نار تلظى، وأورثنا الفردوس الأعلى.

أيها المسلمون: إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } وقال سبحانه {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} وقال سبحانه {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }، وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي»، وقال عليه الصلاة والسلام: من أطاعني دخل الجنة.

أيها المسلمون: سأذكر لكم جملاً من هدي وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي أرشد فيها أمته لتغتنم بها الحياة، فيما يسعدها في الحياة وبعد الممات، مما جمعه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده الذي أوصى به ابنه عبد الله قائلاً: احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً أي مرجعاً وافياً حافلاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

عباد الله: مما أورده الإمام أحمد رحمه الله في مسنده بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله عليه الصلاة والسلام «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله» وقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل النار إلا شقي قيل ومن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل بطاعة الله، ولا يترك لله معصية»، وقوله صلى الله عليه وسلم إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وبالبخل فبخلوا.

معشر المسلمين: ومما خرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس» أي لا يغتنموا منها في عبادة الله تعالى بل يضيعونهما في اللهو واللعب والغفلة ولذا قال

صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما: «أعبد الله كأنك تراه، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وأعدد نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الهدى الصالح والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» وقال صلى الله عليه وسلم «كرم الرجل دينه، ومروءته عقله، حسبه خلقه» وفي المسند عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه» وعنه عليه الصلاة والسلام – وسئل ما النجاة « قال: أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وأبك على خطيئتك»، ووعظ صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه غداً، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس»، وقال عليه الصلاة والسلام: «حسن الخلق نماء – أي بركة وغنم – وسوء الخلق شؤم، والبر زيادة في العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء»، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمه» وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وأرضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب».

إيها المؤمنين: ومن جوامع وصاياه صلى الله عليه وسلم لأمته قوله: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل، وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»، وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة يشنؤهم الله – أي يبغضهم ويذمهم ويسخط عليهم: التاجر – أو قال: البائع – الحلاف يعني كثير الحلف في بيعه وشرائه – والبخيل المنان، والفقير المختال» – يعني المتكبر – وقال صلى الله عليه وسلم: «بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان، قال رجل ما هن يا رسول الله قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده»، وقال صلى الله عليه وسلم: خمس من أتقى الله بهن مستيقناً دخل الجنة: من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأيقن بالموت، والبعث والحساب، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «قال اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».

معشر المؤمنين: وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أبا سعيد ثلاث من قالهن دخل الجنة، قلت: ما هن يا رسول الله؟ قال من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، ثم قال أبا سعيد والرابعة لها من الفضل كما بين السماء والأرض وهي الجهاد في سبيل الله». وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم إرشاده إلى قول رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً في الأذكار في الصباح وفي المساء وعند النوم، وفي إجابة المؤذن بعد الشهادتين في الآذان والإقامة.

أمة الإيمان: ومن جوامع وصاياه صلى الله عليه وسلم ما ثبت عن معاذ رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والدين وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت من ذمة الله، ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن المعصية تحل سخط الله عز وجل، وإياك والفرار من الزحف – يعني في الجهاد – وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موتان – يعني طاعون – وأنت فيهم فأثبت، وأنفق على عيالك من طولك – أي غناك – ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في الله.

أمة محمد صلى الله عليه وسلم: تلكم جوامع وصايا عن نبيكم صلى الله عليه وسلم تضمنها مسند أمامكم أحمد بن حنبل رحمه الله أزفها لكم هدايا أوصيكم بها ونفسي فأقبلوها وأعقلوها وأعملوا بها وبلغوها إلا فليبلغ الشاهد منكم الغائب وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ....

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرسل بالبينات والهدى، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما ليل دجى، وصبح بدا.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى وتذكروا أن ممركم إلى الجنة فوق النار فاتقوا النار بالصدقات وطيب النفقات فنعمة الواقية من نار تلظى، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون، وما تنفقوا من خير فهو يخلفه وهو خير الرازقين وفي الحديث الصحيح أنفق يا ابن آدم أنفق عليك وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قال: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت

عليها حتى ما تجعل في امرأتك وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان.

معشر المسلمين: إن من أفضل وجوه الإنفاق ما يكون سبباً في استدامة الصحة وحصول العافية كالإنفاق في الدواء وعلاج وإسعاف المرضى وعلاج الأورام، وفشل الكلى والوباء الكبدي، وكل داء دوي، فاحتسبوا التبرع للجهات المعنية في هذه الأمور، تتسببوا في شفاء إخوانكم، وتطيعوا ولاة أمركم وتدخلوا على مرضاكم وذويهم عاجل الغبطة والسرور، وتعيدوهم ليمشوا إلى الصلاة بعد انقطاع، ويبتغوا من فضل الله في سائر الأصقاع، ويلدوا في الإسلام من يكون غيظاً لأعداء نبيكم عليه الصلاة والسلام فإن الإنفاق في هاتيك الوجوه من جليل القرب، ومما يرضى الرب، ويستجاب على به الدعاء ويصرف البلاء وتحفظ به النعمى، ويستزاد به من الهدى. ألا وصلوا على نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى قد أمركم بذلك.

في بيان كثرة وتيسير خصال الخير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في كل أمر، في علانيته وسره أبد الدهر، وأحسنوا فإن الحسنة بعشر وتضاعف إلى سبعمائة، وإلى أكثر من ذلك وتعظم مع الإخلاص والذكر، وإن السيئة بمثلها أو تغفر، ومن أحسن بعد الإساءة محيت عنه السيئة وكتب له الأجر، فلا يهلك على الله إلا هالك غبي، ولا يدخل النار إلا شقي.

عباد الله: لقد أفلح من أخلص قلبه للإيمان فجعل الله قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة، فأما الأذن فقمع – أي مسلك للخير – للقلب، والعين مقرة بما يوعي القلب، وقد أفلح من جعل قلبه واعياً.

أيها الناس: إياكم أن تستهينوا بمحقرات الذنوب فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً»، وفي رواية «فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه» وفي أخرى «وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» وفي ثالثة «إن الشيطان رضى بما تحتقرون من ذنوبكم» والمراد بمحقرات الذنوب: ما يستصغر من المعاصي ويستهان به قال سهل بن عبد الله الستتري رحمه الله: من استهان بأدب من آداب الشريعة عوقب بحرمان السنة، ومن تهاون بترك السنة عوقب بترك الفرائض، ثم يقيض له مبتدع يذكر عنده باطلاً فيوقع في قلبه شبهة يعني أو شهوة فيقع في أمر يبغضه الله ويعاقب عليه وهو يحسب أنه في سعة ثم لا يتوب ولا يرجع إلى الحق.

أيها الناس: تذكروا إن الله تبارك وتعالى قد يسر وكثر سبل الخير، التي تعظم بها أجوركم، وترتفع بها درجاتكم عند ربكم، وتحط بها الخطايا عنكم، وتثقل بها موازينكم يوم عرضكم فاستكثروا من صالح الأعمال، ما دمتم في فسحة لآجال، قبل نفاد أمد الإمهال، فعن معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على

العباد قلت الله ورسوله أعلم قال أن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك، قلت الله ورسوله أعلم قال: يدخلهم الجنة.

وفي رواية قال: أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة والمعنى أن حق الله تعالى على العباد توحيده بما شرع وترك الشرك والبدع، وحق العباد على الله الثواب بالفضل أو العدل وقال صلى الله عليه وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً أو يقيناً من قلبه لم يدخل النار، أو قال دخل الجنة»، وقال مرة: «دخل الجنة ولم تمسه النار»، وقال صلى الله عليه وسلم: «فأما من ابتغى وجه الله وأطاع للإمام – يعني ولي الأمر بالمعروف – وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله» رواه أحمد عن معاذ رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم خمس من فعلهن كان ضامناً على الله: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة أو خرج غازياً في سبيل الله، أو دخل على إمام يرد بذلك تعزيزه وتوقيره، أو قعد في بيته فيسلم الناس منه ويسلم، وقال صلى الله عليه وسلم «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»، وقال صلى الله عليه وسلم «المتحابون في الله في ظل العرش يوم القيامة».

أيها المسلمون: ومن خصال الخير الإلحاح على الله تعالى بالدعاء مع حسن الرجا ومع السلامة من الشرك ففي الحديث القدسي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.

وكذلك سؤال الله تعالى المغفرة صدقاً من القلب وندماً على الذنب قال تعالى في الحديث القدسي: ابن آدم إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي.

معشر المسلمين: لقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته بخمس: «رحمة المساكين، ومجالستهم، وأن ينظر المرء – في الدنيا – إلى من هو تحته، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وأن يصل رحمه وإن أدبرت، وأن يقول الحق وإن كان مراً، وأن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله» كما أوصى صلى الله عليه وسلم بثلاث خصال من جليل العمل الصالح وهن: صلاة الضحى، والوتر قبل النوم، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت نعم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله» وقال عليه الصلاة والسلام «رفع العظم عن الطريق صدقة، وهدايتك الطريق صدقة، وبيانك عن الأرتم، أي الذي لا يفصح صدقة، ومباضعتك امرأتك صدقة».

وفي صحيح البخاري ومسلم عن صلى الله عليه وسلم قال: عل كل مسلم صدقة فقالوا يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا فإن لم يجد؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا إذا لم يجد؟ قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة. وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عمرو بن عيسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا توضأ المسلم ذهب الإثم من سمعه وبصره ويديه ورجليه.

وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يبيت على طهر ثم يتعار – أي يستيقظ من الليل فيذكر ويسأل الله عز وجل خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أتاه الله عز وجل إياه وفيه أيضا بسند صحيح عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما أفضل الأعمال – إلا من عمل بمثلهما – حجة مبرورة أو عمرة.

معشر المؤمنين: كذلكم فإن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جليل العمل الصالح قال صلى الله عليه وسلم أشد أمتي لي حباً قوم يكونون – أو يخرجون – بعدي يود أحدهم أنه أعطى أهله وماله وإنه رأني وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: المرء مع من أحب يوم القيامة.

ألا فاستبقوا الخيرات، وسارعوا إلى المغفرة والجنات، وتوبوا إلى الله تعالى مما عملتم من السيئات ولا تصروا على الإثم وأنتم تعلمون قال تعالى {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعنا بما تضمنه وأنزله الله له من الهدى والبيان، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم.

الكسوف والخسوف

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن أصدق الحديث وأحسنه كتاب الله، وخير الهدي وأكمله هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار فاتبعوهما واجتنبوا ما خالفهما تفلحوا وتسعدوا وتنجوا من الهلاك والشقاء في الدنيا والأخرى.

أيها المسلمون: إن الله تبارك وتعالى قال عن كتابه العظيم {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} قال تعالى {وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} وقال سبحانه {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} وقال جل وعلا {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} ولقد أمر تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه وأن يبينه للناس لعلهم يتفكرون فيتذكرون ويتقون.

أيها الناس: إن مما تضمنه القرآن المحكم، الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم، وبينه بأقواله وأفعاله وأحواله وإنكاره لما خالف من أمور الناس وبيانه وجه الصواب فيه على الوجه الأتم أمر الكسوف والخسوف والحكمة منهما وما ينبغي أن يفعله الناس عند حدوثهما ليتقوا شر ما قد يعرض لهم بسبب الكسوف والخسوف من الأخطار والأضرار في العاجل والآجل رحمة من الله تعالى وحكمة قال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} وقال صلى الله عليه وسلم في بيان الحكمة من حدوث الكسوف إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده فاتفق القرآن والسنة على أن الحكمة من إرسال الآيات ومنها الكسوف والخسوف التخويف للعباد حيث يتجلى للعقلاء من تصرف الله القوي القدير في هذين المخلوقين العظيمين عظمة شأنه وعز سلطانه وأنه سبحانه قاهر الخلق قادر على العصاة والعتاة المرتكبين لمناهيه التاركين لطاعته المتمردين عليه أن ينتقم منهم فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر قال تعالى {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} وقال سبحانه:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} كما يتضح لهم أن أخطار وأضرار ما ينتج عن ذهاب نور الشمس والقمر

لا تدفع إلا بالضراعة إلى الله تعالى والاعتذار عن التقصير في حقه والتقرب إليه سبحانه بالاستغفار وصالح العمل فإن رب الكون هو القادر وحده على صرف أخطار ما يحدث فيه ولذا أرشد صلى الله عليه وسلم الأمة إلى أنواع ما يدفع به البلاء وتحفظ به النعماء وتتقي به الله أسباب المخاوف والأخطار في سائر الأماكن والأناء.

أيها المسلمون: إن أول كسوف حديث في الإسلام كان في نهاية شهر شوال من السنة العاشرة من الهجرة يوم مات ابن النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم – فقام النبي صلى الله عليه وسلم مستعجلاً فزعاً يخشى أن تكون الساعة حتى أتى المسجد فبعث منادياً أن الصلاة جامعة، وجعل صلى الله عليه وسلم يسبح ويكبر ويدعو ثم قام فصلى فصف الناس وراءه واجتمعوا واصطفوا فصلى بالناس ركعتين في كل ركعة ركوعان وسجودان، كبر صلى الله عليه وسلم فقرأ – جهراً الفاتحة وسورة طويلة قدر سورة البقرة ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه من الركوع فقال: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم قرأ فأطال القراءة وهي دون الأولى ثم ركع فأطال الركوع – وهو دون ركوعه الأول – ثم رفع فقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم سجد سجدتين ثم قام فصنع في الركعة الثانية مثل ما صنع في الركعة الأولى إلا أنها دونها في الطول – ثم تشهد ثم سلم وقد انجلت الشمس، فاستكمل في صلاته أربع ركوعات وأربع سجودات قبل أن يتشهد يسلم.

معشر المسلمين: ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة الكسوف قام فخطب الناس، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله وشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ثم قال: أما بعد أيها الناس: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يربكموهما وفي رواية إن هذه الآيات يرسلها الله وفي رواية إن الله إذا بدى لشيء من خلقه خشع له وفي رواية إن الشمس والقمر إذا رأى أحدهما من عظمة الله شيئاً حاد عن مجراه فانكسف فإذا رأيتم ذلك فأفزعوا إلى المساجد – وإنهم كانوا – يعني أهل الجاهلية – يقولون لا يخسفان إلا لموت عظيم من عظماء أهل الأرض – قال صلى الله عليه وسلم وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته، ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى الله وفي رواية ذكره واستغفاره حتى تنجلي ، وفي رواية فصلوا ثم قال صلى الله عليه وسلم – مخبرا عن عجيب ما أرى في صلاته من أمر الجنة والنار فقال ما رأيتم من شيء في الدنيا له لون ولا نبئتم به في الجنة والنار إلا قد صور لي من قبل هذا الجدار وفي رواية قال: ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة والنار في عرض حائط أمامه وهو يصلي فقال: صلى الله عليه وسلم عن

الجنة: لقد رأيتني أريد أن آخذ قطف – أي عنقود عنب من الجنة – حين رأيتموني جعلت أتقدم وفي رواية قال: فعرضت علي الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً لأخذته وفي رواية قال: تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه وفي أخرى فأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل.

معشر المسلمين: ثم أخبر قال عليه الصلاة والسلام عن رؤيته للنار: فقال ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا، فلم أرى منظراً كاليوم قط أفظع. وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم ولقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصبني من لفحها وأخبر عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم نفخ في آخر سجوده في الركعة الثانية فقال: أُف أُف، ثم قال رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون.

أيها المسلمون: ولقد أرى صلى الله عليه وسلم في النار – بهذه المناسبة – نماذج من أصناف أهل كبائر الذنوب – وهم يعذبون في النار تحذيراً للعباد من أهوال يوم المعاد، وزجراً لأهل الجرائم، عن ارتكاب فنون المآثم، كما فصل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الخطبة العظيمة بلاغاً عن الله تعالى لهم ثم استشهده سبحانه على تبليغهم فذكر صلى الله عليه وسلم من نماذج الظالمين المجرمين: من يمنع الخلق أرزاقهم فقال صلى الله عليه وسلم: فرأيت فيها – أي النار – امرأة من بني إسرائيل وفي رواية من حمير سوداء طويلة تعذب في هرة لها ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فلقد رأيتها تهشها إذا هي أقبلت، وإذا ولت تنهش أليتها – أي عجيزتها – فأخبر صلى الله عليه وسلم أن هذه المرأة عذبت بسبب منع الحق عن مستحقه.

معشر المسلمين: ومن أهل الجرائم الذين رآهم النبي صلى الله عليه وسلم يعذبون في النار العابثون بالأحكام، المغيرون لدين الله المبدلون لشريعة الإسلام المضلون للأنام، مثل عمرو بن مالك بن لحي الخزاعي أول من غير دين إبراهيم عليه السلام حيث بدل عقيدة التوحيد بالشرك، باستخراج أصنام قوم نوح من شاطئ جده – وعرضها على الناس في موسم الحج وزين لهم عبادتها مع الله تعالى أو من دونه وغير شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتحريم أنواع من بهيمة الأنعام التي أحلها الله لعباده كما قال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} وقال سبحانه {قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} قال صلى الله عليه وسلم – في التنصيص على هذا الصنف المجرم، المشرع للقوانين الوضعية ورأيت – يعني في النار – أبا

ثمامة عمرو بن مالك – وفي رواية قال ابن لحي يجر قصبه – يعني أمعاءه – في النار وهو الذي سيب الشوائب.

أيها المؤمنون: ومن أهل الجرائم الظالمين الذين رآهم النبي صلى الله عليه وسلم يعذبون في النار: السراق حيث رآهم يعذبون بوسائل سرقتهم التي كانوا يستعينون بها على السرقة وفي ذلكم قال صلى الله عليه وسلم: حتى رأيت فيها – أي النار – صاحب المجن – أي العصا المعكوف مقبضة – أخا بني الدعداع، سارق الحجيج، يجير قصبه في النار كان يسرق الحاج بمجحنه – يعني عصاه – فإن فطن له – أي الحاج – قال: إنما تعلق – أو هذا – عمل المحجن وإن غفل عنه ذهب به – أي بمتاع الحاج – قال صلى الله عليه وسلم رأيته متكئاً على محجنه في النار يقول أنا سارق المحجن وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم رايته يدفع بعصى ذات شعبتين في النار.

معشر المؤمنين: كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الزنا وتهدد الزناة بشديد عذاب الله تعالى الذي رآه في النار، وأن الزنا من أعظم أسباب غيرة الله وموجبات عظيم غضبه وشديد عقابه – كيف وقد قال تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} فقال عليه الصلاة والسلام: يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته قال تعالى {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} ولقد أبلغ الله تعالى وأغلظ عقوبة الزنا فجعلها لغير المحصن أن يجلد مائة جلدة بحضرة طائفة من المؤمنين مع التغريب أو الحبس سنة وأما للمحصن فإنه الرجم بالحجارة حتى الموت.

معشر المؤمنين: وكما أن الزنا جريمة فظيعة توجب مقت الله وسخطه وشدة عقابه وأليم عذابه فإنه كذلك مجلبة لعقوبات كونية قدرية وقد يبتلى الزاني بعقوبات قدرية – عدلا من الله تعالى بأن يزنى بزوجته أو غيرها من محارمه، أو يبتلى بأمراض مستعصية مهلكة كالإيدز ونحوه من الأمراض المنغصة للحياة المؤدية إلى سوء الممات.

معشر المؤمنين: ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم – في خطبته بمناسبة الكسوف – بفتنة القبر وعذاب القبر فقال: إنكم تفتنون في قبوركم، وفي رواية رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال، أو قال: مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل – أي النبي صلى الله عليه وسلم – فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد رسول اله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه وأتبعناه، هو محمد ثلاثا، فيقال: نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا،

وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته قالت عائشة رضي الله عنها: فكنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر وفي رواية قالت: ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر. وأخبر صلى الله عليه وسلم. أن من موجبات عذاب القبر النميمة وعدم التحرز من النجاسة أو التهاون بالصلاة.

أيها المؤمنون: ثم بعد هذا التشويق للجنة والتحذير من الله وتفصيل الحديث عن نماذج من أهل الجرائم والظلم الذين يعذبون في النار قال صلى الله عليه وسلم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. يعني – والله أعلم – من أمر الجنة ونعيمها وحال أهلها، وأمر النار وعذابها وحال أهلها، لأهمكم هذا الشأن وزهدتم في الدنيا وزينتها واشتغلتم في أمر الآخرة والاستعداد لها – ثم رفع يديه فقال: ألا هل بلغت وفي رواية اللهم هل بلغت.

أمة الإسلام: ولقد أرشد صلى الله عليه وسلم الأمة في خطبة الكسوف إلى ما ينبغي فعله عند الكسوف فأمرهم وأكد عليهم إيجاباً عاماً أو كفائياً في حق الرجال والنساء إلى أن يقتدوا به صلى الله عليه وسلم فيفعلوا مثل ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم: فإذا رأيتم كسوفاً فأفزعوا إلى الصلاة – وفي رواية – فصلوا حتى يفرج الله عنكم. وفي أخرى قال: فأيهما – يعني الشمس والقمر – انخسف فصلوا حتى ينجلي أو يحدث الله أمراً. وفي ثالثة قال: فأسعوا إلى ذكر الله أو قال: فاذكروا الله حتى ينجليا، وفي رابعة قال: ادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا وفي البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة عند الكسوف فبين صلى الله عليه وسلم جنس ما تدفع به المخاوف وتتقي به الأخطار والشرور وأمر به وكان صلى الله عليه وسلم هو الأسوة في السبق إليه وحسن أدائه خالصاً لله تعالى طلباً لمرضاته.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقواه، والتمسوا أسباب رحمته ورضاه، واتقوا موجبات سخطه وعقوبته في الدنيا ويوم لقاه.

فإن الله تعالى يرسل بالآيات ليبتليكم، أتعتبرون فتتقون وتشكرون، أم تستخفون بها فلا تغنى عنكم شيئاً، فتكونوا من الآثمين الموصوفين بقوله تعالى {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ} وقوله {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}.

عباد الله: إذا كانت الحكمة من إرسال الآيات ومنها الكسوف والخسوف التخويف كما هو صريح قول الله تعالى {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} وقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته بعد صلاة الكسوف «هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن يخوف الله بها عباده» فإن المتعين عند حدوث الكسوف والخسوف هو الفزع والخوف، والتوجه إلى المساجد، والصلاة والدعاء، وغير ذلك مما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم، طاعة الله تعالى، ورجاءاً للطفه ورحمته، وحذراً من عقوبته وبطشه، واتباعاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على سنته، لا الاستبشار والفرح، واختيار المواقع أو السفر من أجل التفرج والمتعة، فإن هذه الأمور من مظاهر قسوة القلوب والأمن من مكر الله، والاستهانة مما خوف الله منه قال تعالى {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} وقال تعالى {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} الآيات إلى قوله {أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وقال تعالى {وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}.

أمة الإسلام: ولئن كان أمر الكسوف والخسوف مما قد يدرك في الحساب، فإذا اتفق عليه الحاسبون فلا يكادون يخطئون، إلا أنه ما كل ما يعلم به يذاع، ويشاع، خصوصاً إذا كان من أمور الأمن أو الخوف، مما يتعلق بعامة الأمة، فإن الله تعالى قد ذم قوماً بقوله {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}.

فإن من شأن إذاعة مثل هذا الأمر إحداث البلبلة والارتياب لدى عامة الناس، كما أن العلم بذلك مسبقاً مما يضعف خوف القلوب من هول الحدث وعواقبه ولهذا – والله أعلم – غُيِّبَ أمر الكسوف عن النبي صلى الله عليه وسلم أولم يُخْبَر به حتى فجئ صلى الله عليه وسلم والناس بحدوثه، كما في الحديث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً يخشى أن تكون الساعة، مع أن الوحي يتزل على النبي صلى الله عليه وسلم صباح مساء، وفي مختلف الأناء، فلو كان في الإخبار بهذا الحدث وإشاعته مصلحة، لكان أحق الناس بذلك وأسبقهم إليه، النبي صلى الله عليه وسلم

فدل ذلك على أن العلم بذلك، أو غلبة الظن به ينبغي أن يكون محصوراً في دائرة المختصين، دون عامة الناس الذين هم محل للارتياب، والحيرة أو الاستهانة بالحدث وتبعته.

في التذكير بشيء من نعم الله تعالى

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً أحمده سبحانه وسع كل شيء عزة وحكماً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خلق الجن والإنس ليعبدوه، ورزقهم من أنواع الطيبات ليشكروه، وأمرهم ونهاهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وأعد الشاكرين الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الفردوس نزلا، وأعد جهنم للكافرين الجاحدين لحقه ونعمه موئلا.

وأشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أشرف مرسل وأكمل إيمان، وأشكر المكلفين وأعظمه ذكراً لله على الدوام صلى الله عليه وسلم وبارك عليكم وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تفلحوا، واشكروه على سابغ إنعامة ومتنوع آلائه تزادوا وتربحوا، ولا تزدروا نعم الله عليكم ولا تتخذوها سلما المعصية فتشقوا وتخسروا، فإن الشكر قيد تحفظ به النعم الحاصلة، وسبب مبارك تستجلب به النعم الواصلة، وإن الكفر وازدراء النعم أو الاستعانة بها على المعاصي والبغي شؤم يمحق النعم الحاصلة، ويقطع ويصرف النعم الواصلة قال تعالى {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} وقال سبحانه وتعالى:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.

عباد الله: إن ذكر النعم والاعتراف بالأنعام للمنعم وتحديث المرء بها نفسه وخاصته على وجه الاغتباط بها والتعريف بقدرها وحقها، يرقق القلوب ويحببها لعلام الغيوب. وينشط الهم والجوارح في الطاعة لله تعالى: رغبة ورهبة ونعم المطلوب، فذكر النعم هو مبدأ الشكر، والاستعانة بها على طاعة المنعم هو رأس الأمر، والعاصم من الكفر، ونجاة من الشقوة يوم الحشر، فاشكروا الله إنعامه واذكروا تكريمه لكم وإكرامه تحفظوا النعمى، وتأمنوا السوئي، وتحمدوا العقبى في الدنيا والأخرى.

أيها المسلمون: إن أعظم نعم الله عليكم أن هداكم للدين الحق، الذي ضل عنه أكثر الخلق، فجعلكم على صراط مستقيم، ومنهاج قويم هو الإيمان والعمل بالكتاب والسنة، على منهاج وفهم السلف الصالح من الأمة، وترجعون إلى علماء عاملين، على طريقة الصحابة والتابعين، فما جعلكم تتخبطون في الشرك والبدع، ولا تتحكمون وتحاكمون إلى القوانين الوضعية والأعراف العشائرية ونحوها من باطل الشرع {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

معشر المسلمين: ومن عظيم إنعام الله عليكم أن جعلكم تحت ولاية شرعية، لاتألوا جهداً فيما ينفع الرعية، وكم لها من جهاد مشكور وجهد مذكور في توفير الأمن ودفع أسباب الخوف والرعب، وقد بارك الله تبارك الله وتعالى وله الحمد والشكر، بذلك الجهاد وذلكم الجهد، فتحقق المطلوب وأندفع المخوف والمرهوب فاشكروا الله تبارك وتعالى فضله، ثم أذكروا لولي أمركم جهده وبذله، وليكن شكركم لله بالتقرب إليه بصالح الاعتقاد والقول والعمل، وذكركم لحق ولي أمركم السمع والطاعة في المعروف وأداء الحق لمستحقه، والدعاء الصالح بظهر الغيب للقائم بالواجب وصانع المعروف.

أيها المؤمنون: ومن عظيم نعم الله عليكم تيسير أسباب الأرزاق، والألفة والاتفاق، الذي أصبحتم به بنعمة الله في الدين إخوانا، وعلى جلب الخير ودفع الشر أعوانا، فلم يجعلكم شيعاً متفرقة، وأحزابا متنافرة بل أمة واحدة على ملة واحدة وشرعة واحدة وصدق الله العظيم إذ يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

وبقول {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} الآية فمن شكر ما أنعم به عليه فهداه وأغناه، وأكرم مثواه ومن اتبع هواه وعصى مولاه، ولاه الله ما تولاه، وغدا ينظر كل أحد ما قدمت يداه، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمد بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد.

الوصية بالصدق والتحذير من الكذب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والصدق في كل الأمور وسائر الأحوال في السر والعلانية، فإن الله تعالى يحب المتقين، ألا وإن الصدق أخص صفات أهل التقوى، وخصال العروة الوثقى، ألا وإن الصدق طمأنينة ويهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وإنه ما يزال الرجل يصدق يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولذا أمركم ربكم تبارك وتعالى بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} وأخبركم إنه سبحانه يجزي الصادقين بصدقهم، وقال سبحانه وتعالى { وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ}الآية إلى قوله سبحانه {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}. وحسبكم قول الحق سبحانه {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقوله سبحانه {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

عباد الله: وإياكم والكذب، فإن الكذب خلاف الصدق، ومجانب للحق وإنه ريبة وإنه ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً، قال تعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}.

ذلكم – يا عباد الله – لأن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، قال تعالى {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ} وقال تعالى {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}.

معشر المسلمين: إن الكذب من إمارات النفاق، ومن خصال الكافرين باتفاق، فقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم قوله آية المنافق ثلاث، وقوله أربع من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ومن كن فيه كان منافقاً خالصاً وفيه إذا حدث كذب ولقد توعد الله المنافقين بالدرك الأسفل من النار.

أيها المسلمون: الكذاب لا يبارك له في كسبه، ولا يكلمه الله ولا ينظر إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم، ذلك لأنه أفاك أثم، مجرم ملعون، قد اتبع إبليس، في ذلكم النهج الخسيس، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

أيها المؤمنون: الكذب خلاف الصدق، ونقيض الحق، وهو يكون في الاعتقاد، أو القول، أو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به، أو عليه، سواءاً كان عمداً أو خطأ فيكون الكذب بالاعتقاد كاعتقاد ما لا يليق بجلال الله تعالى وعظمته من الشريك في الخلق أو الملك او التدبير أو التشريع أو المثل أو النظير أو ما هو من خصائص المخلوقين، أو استحقاق أحد من خلقه لشيءٍ من حقه، أو أنه تعالى خلق خلقه عبثاً، أو أنه يتركهم سدا، فلا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يجزي المحسنين بالإحسان، والمسيئين بما يشاء. من غير ظلم ولا نقصان.

معشر المؤمنين: وكما يكون الكذب في الاعتقاد فإنه يكون بالأقوال كأن يقال على الله وفي دينه ما لم يقله، أو أن يزعم أن أحداً من خلقه يشاركه في شيء من اسمه أو وصفه أو فعله، أو حقه، والتحليل والتحريم من غير برهان من وحيه، أو إثبات لرضاه أو سخطه على عمل أو عامل، أو تحديد مقدار الثواب أو عقاب على عمل أو عامل، من غير خبر ثابت عن الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن إثبات الرضا أو الغضب أو الثواب أو العقاب أو مقدارهما من غير بينة، من القول على الله تعالى وفي دينه بغير علم، وقد قال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} وقال سبحانه {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وقال سبحانه {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}.

معشر المؤمنين: كذلكم أيضاً فإن الكذب يكون في الأفعال، فكل من ركع أو سجد، أو تصدق أو فعل خيراً يرى به الناس ليكسب محمدتهم، أو شيئاً من دنياهم، أو التصدر فيهم، فقد كذب لأنه توجه بشيء من حق الله لأحد من خلقه فظاهره الإخلاص، وباطنه الشرك فاتقوا الله عباد الله واصدقوا في القول والاعتقاد والعمل وتجنبوا الكذب بجميع صوره تنجوا من عذاب الله عز وجل، وتفوزوا برضوان وكرامته، كما وعدكم بصريح ما أنزل، سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المعصية: حقيقتها وأنواعها وكفارتها وشؤم الإصرار عليها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيا أيها الناس: آمنوا بالله وأحبوه، وعظموه سبحانه وأطيعوه، وأجلوه عز شأنه وعظموا سلطانه فاستجيبوا له ولا تعصوه، فإن العصيان والمعصية ضلال مبين، وحال ووصف قبيح من أشنع وأفظع أحوال وأوصاف المكلفين، وموجبات الشقوة والخسران في الدارين، وكم ورد بشأنهما من ألوان الوعيد وضروب التهديد، في الوحي المنزل من رب العالمين.

عباد الله: المعصية والعصيان خلاف الطاعة، أو مضادة الأمر ومعاكسته، بعدم امتثاله أو بفعل ما يضاده، يقال: عصى العبد ربه إذا خالف أمره، بأن فعل ما نهاه الله ورسوله عنه، أو ترك ما أمره الله ورسوله به، لأنه اختار بذلك لنفسه غير ما اختار الله ورسوله له شرعاً، وهذا هو الضلال المبين، قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} وقال سبحانه {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}.

أيها المؤمنون: إن المعاصي لها شؤم متنوع خطير، وعقاب كبير، فبالمعاصي والاستهانة بها وتبريرها والإصرار عليها تتحقق العقوبات، وتهلك النفوس، وتقسو القلوب، ويخرب العمران، ويتعرض العصاة للخزي والخسران، والشقاء في الدنيا والآخرة، فبالمعصية أبلس إبليس، وأفلس من كل خير في الدنيا والآخرة، وبدل بالرحمة لعنة، وبالقرب طرداً وبعداً، والخلود في الجحيم، والصلي المتنوع العذاب الأليم. وبالقدوة السيئة في السبق إلى المعصية باء ابن آدم الأول بنصيب وعذاب، وكل تابع له بارتكاب جريمة القتل عمداً قال صلى الله عليه وسلم: لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل، وبالتعاون على المعصية وإظهارها عمت عقوبتها مجتمعاتها، فاستأصلتها لتواطؤها على جرائمها، وإصرارها على جرائمها قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} فحق الوعيد، وأرسلت العقوبات على العبيد، وما ظلمهم الله فما ربك بظلام للعبيد. بل ظلموا أنفسهم فاستحقوا العقوبات من ربهم وقال سبحانه {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} وقال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} وقال جل ذكره {فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}.

أيها المؤمنون: احذروا المعاصي فإنه صفة الشيطان، وخلقه وشباكه الذي يصطاد به من أطاعه، قال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} ولذلك يأمر بالمعصية من أطاعه من الناس ليكونوا معه في النار قال تعالى {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ} يعني كبائر الذنوب كالقتل والزنا والربا وشرب الخمر وقال تعالى {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} وقال سبحانه {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} وقال سبحانه {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ}.

أيها المؤمنون: والمعاصي من حيث مصادرها ووسائل اقترافها متنوعة فتكون المعصية بإرادات القلوب ونياتها قال تعالى بشأن حرم مكة شرفه الله {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} وقال سبحانه في إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما القاتل والمقتول في النار، قالوا يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول قال صلى الله عليه وسلم إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». متفق عليه.

معشر المؤمنين:

وفي بيان معاصي الحواس والجوارح قال تعالى {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العينان تزنيان وزناهما النظر».

وفي بيان عظم جرائم اللسان قال تعالى {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} الآية وقال سبحانه {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} وقال صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالا يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب». وفي جرائم اليد يقول سبحانه {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} وقال صلى الله عليه وسلم لعنة الله على السارق يسرق البيضة فتقطع يده.

معشر المؤمنين: المعاصي منها كبار ومنها صغار كالطاعات قال سبحانه {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} وقال جل ذكره في معرض الوعد بالمغفرة لمن اجتنب الكبائر {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} وفي صحيح مسلم رحمه الله بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

فالمعاصي أيها المسلمون: متنوعة ومتفاوتة وكلها ظلمات بعضها فوق بعض وبعضها أغلظ من بعض فمنها كبائر مهلكة وجرائم موبقة، ومنها دون ذلك وقد جاء التنبيه على نوعيها في الوحي المعصوم المنزل على أشرف نبي وأكمل مرسل محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} وقال جل وعلا في معرض الوعد بالمغفرة {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} الآية وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور .. » متفق عليه.

فالشرك بالله وترك الصلاة، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، وظلم النساء والأيتام بأكل أموالهم وتصديق السحرة والكهان، والكذب والزنى، والرشوة والربا، وشرب الخمور والمسكرات وترويج المخدرات وإيذاء المؤمنين بقول أو فعل، وسوء الظن بأهل الإسلام، والقمار ومحبة الكفار، واقهام الأبرياء والتحاكم إلى غير الشرع، والقول على الله تعالى وفي دينه بغير علم كل هذه من أنواع الكبائر والموبقات والجرائم المهلكات التي من لقي الله بواحدة منها أو أكثر لم يتب منها كان من أهل النار فإن كانت من نواقض الإيمان كان مع الكفار وإن كانت دون ذلك كان مستحقاً لها إلا أن يعفو عنه العزيز الغفار فاتعظوا يا أولي الأبصار.

أيها المسلمون: وكبائر الذنوب ليست محصورة بعدد ولكنها محدودة بالوصف فلقد استقرأ فقهاء الإسلام النصوص الواردة في الكتاب والسنة واستنبطوا منها ضابطاً دقيقاً للكبيرة من الذنوب الموجبة الغضب وعذاب علام الغيوب وهو أن الكبيرة من المعاصي هي كل مخالفة وردت في الكتاب والسنة مقرونة بغضب أو سخط أو لعنة أو نفي إيمان أو فلاح، أو قرنت بفسق أو كفر أو خسران، أو ترتب عليها حد في الدنيا من قتل أو صلب أو رجم أو قطع أو جلد أو حكم الله تعالى على أهلها بالخلود في النار أو العذاب أو نفى عن فاعلها رضاها أو محبته أو رحمته إياه أو نفى دخوله الجنة فكل ذلك معدود من كبائر الذنوب وعظيم الجرائم وفظيع المآثم.

معشر المسلمين: هذا ضابط الكبائر وتلكم نماذج منها فما لم ينطبق عليه وهذا الضابط فهو معدود من الصغائر ولكن المعصية أيا كان نوعها فهي عظيمة في حق الله جل وعلا قال بعض السلف لا تنظر إلى صغر المعصية في عينيك ولكن انظر إلى عظم من عصيت وصدق الله العظيم إذ يقول في أهل الشرك والكفر {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. فاتقوا عباد الله شؤم معاصيه واحذروا عواقبه عليكم والتمسوا ما يكفر الله به عنكم من سيئاتكم، قبل لقاء ربكم.

أمة الإسلام إن مما تكفر به كبائر الذنوب صحة الإيمان وصدق الإسلام قال تعالى {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب أو قال يهدم ما كان قبله.

ومما تكفر به كبائر الذنوب كذلكم التوبة الصادقة التي استكملت شروطها بترك المعصية والندم على ما مضى منها والعزم على عدم العود إليها ورد المظالم إلى أهلها قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}. وقال سبحانه {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ}.

أيها المسلمون: أما صغائر الذنوب فهي المخالفات التي لم يرتب الله تعالى عليها عداً في الدنيا، ولم ينص سبحانه على تعيين عقوبة خاصة بها في الآخرة ولم يرد بشأنها وعيد شديد، ولا نفي إيمان ولا فلاح بل هي معدودة – شرعاً – من سيء الكسب ومشين العمل، وجنس الذنوب وأنواع الظلم في حق الله تعالى أو في حقوق عباده ونحو ذلك مما يدخل في عموم قول الله سبحانه {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

أيها المسلمون: فهذا النوع من الذنوب – أعني الصغائر – يكفره الله تعالى بالتوبة والاستغفار قال تعالى {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وقال سبحانه {وإِنِي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} كما يكفره الله سبحانه بجلائل الأعمال الصالحة كما قال تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} وقال تعالى {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر». وكذلك قيام ليلة القدر وصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، والتبكير للجمعة ومراعاة آدابها وسننها.

معشر المسلمين: كذلكم فإن مما تكفر به الصغائر اجتناب الكبائر كما قال سبحانه {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} كما تكفر الصغائر – أيضاً – بما يبتلى به العاصي من الآلام والأسقام والهموم والأحزان قال تعالى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} وقال النبي صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ألست تحزن ألست تنصب – يعني تتعب – أليس يصيبك اللأوي – يعني الجوع والمرض – قال بلى: قال: فذلك مما تجزون به. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما يصيب المسلم نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياه.

أيها المؤمنون: كذلكم فإن الصغائر قد تكفر بشدة النزع وكرب الموت، وبشيء من عذاب القبر، كما تكفر بأنواع البر ودعاء الصالحين – بظهر الغيب – ودعاء المسلم لنفسه إذا لم تقضى حاجته.

أيها المؤمنون: لا يحملنكم ما سمعتم على الاستهانة بصغائر الذنوب، فإنها من مداخل الشيطان ووسائل إلى الكبائر، ومن بوادر الزيغ ومظاهر الغفلة عن الله جل وعلا، فهي أول زلل الأقدام، ومقدمات ضلال الأفهام، وعلامة سلطان النفس الأمارة على القلب، وأول قطرات الران على القلوب، وآية تحكيم الهوى، وتقديمه على الهدى، ومن استخف بالصغيرة تجرأ على الكبيرة ولا بد، وحسبكم أنها نوع من الشرك الأصغر، وبريد إلى الكفر، كما أن الصغيرة تكون كبيرة إذا استخف بها فاعلها، أو جاهر بها، أو كان ممن يقتدى به ويتبع عليها، قال تعالى {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} ولقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كتاباً قال فيه أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت – أي عصيت – فإنما عليك إثم الأريسيين – يعني الأتباع – لأن الناس على دين ملوكهم فمن عصى الله وهو متبوع مطاع يضاعف له العذاب ضعفين ضعف من أجل معصيته، وضعف من أجل سنه المعصية لمن تحت ولايته فيتحمل نصيبه من إثم معصيتهم إذا كان قدوتهم ألا فاتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

الخطبة الثانية

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله وتذكروا إنكم غداً بين يدي ربكم موقوفون فمسئولون وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون قال تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ} وثبت عن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل الحديث وفيه: «وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه إلا فاعدوا للسؤال جواباً وليكن الجواب صواباً، ألا ولا تتعبوا في جمع الأموال ثم تنفقوها فيما يشقيكم في الآخرة فقد أنذرتم وأبلغتم، وقد أبلغ في الأعذار من تقدم بالإنذار، ألا وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم».

أيها المؤمنون: إن من شؤم المعاصي أنها تطفئ نور الإيمان، وتذهب وقار الوجه، وتقسي القلب، وتمنع بركة الرزق، وأنها تصد عن الطاعة، وتجلب مثلها من المعصية، وتثبط الجوارح عن الخير، وتحدث في النفس وحشة، وتسبب الجفوة، وتقصم العمر، وتورث الذل، وتفسد العقل، وتجعل صاحبها هيناً على الله، مبغضاً عند صالحي الخلق، شغوفاً بالباطل مصدوداً عن الحق، موصوفاً بالفسق.

أيها المؤمنون: من شؤم المعاصي أنها خيانة لله تعالى وكفر – أي جحود بحق الله، من عظمة شأنه وعز سلطانه وشدة عقوبته وأخذه فتبغض العبد إلى الله تعالى قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} وقال سبحانه {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يبغض الفاحش. وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى «أبي يغترون أم عليّ يجترؤون» وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى «إني إذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد».

أيها المؤمنون: ومن شؤم المعاصي أنها تزيل النعم، وتحل محلها النقم، قال تعالى {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وقال سبحانه {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ}.

أمة الإسلام: كذلكم فإن من شؤم المعاصي أنها تجلب لأصحابها اللعنة من الله تعالى وهي الطرد والإبعاد عن مظان الرحمة، كما أن المتجرئين على المعصية المتواطئين المتعاونين عليها ملعونون على لسان النبوة أي مدعو عليها بها أو مخبر بأنهم مستحقون متعرضون لها بسبب جرأتهم وإجرامهم فقد لعن صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه وقال هم سواء. ولعن عليه الصلاة والسلام الراشي والمرتشي والرائش. أي الوسيط في الرشوة ولعن صلى الله عليه وسلم

الواصلة والمستوصلة والناقصة والمتنصة والفالجة والمتفلجة. لتغييرهن لخلق الله ولعن عليه الصلاة والسلام المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن صلى الله عليه وسلم من ذبح لغير الله. ومن لعن والديه ومن أوى محدثاً ومن غير منار الأرض فهذا اللعن من النبي صلى الله عليه وسلم إما إخبار منه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قد لعن هؤلاء أو دعاء منه صلى الله عليه وسلم بهذا والإخبار صادق والدعاء حري بالإجابة قال تعالى {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} وذكر سبحانه من موجبات لعنهم {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}.

أمة القرآن:

ومن شؤم بعض المعاصي تعجيل العقوبة عليها في الدنيا كما خرج الحاكم رحمه الله في مستدركه بإسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين – أي الجدب – وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة مالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم يمطروا، ولا خفر – أي نقض – قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم – أي من الأموال والثروات – وما لم تعمل أئمتهم – أي تحكم حكامهم – بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم.

أمة الإيمان:

ومن شؤم المعصية أن العاصي إذا استمر عليها اعتادها وزينها الشيطان له فبررها وصغرت في عينه قال تعالى عن الشيطان أنه قال {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} وقال تعالى {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقال سبحانه {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} فتارة يزين الشيطان المعصية يقول: أنت لم تفعل هذه المعصية أبداً والواحدة لا تضرك وأخرى يقول له افعلها عدة مرات ثم تتوب منها توبة واحدة، وثالثة يقول له هذه بسيطة وعادية فإن الناس يفعلون أكثر من ذلك، ورابعة ذنوبك كثيرة وكبيرة وتوبتك لن تقبل فإما، أن يؤمنه مكر الله وإما أن يقنطه من رحمة الله.

أيها المسلمون: صلوا على من أمرتم بالصلاة عليه.

في جوامع من الكلم وجمل من الحكم وطاعة ولي الأمر بالمعروف

إن الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأستغفره، وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، والنور والموعظة، على حين فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوي وفرط وضل ضلالاً بعيداً.

أما بعد: أيها الناس، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في عاجل الأمر وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإنه من اتقى الله توقى مقته وسخطه وعقوبته، وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة.

عباد الله: خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، فإن الله تبارك وتعالى، قد علمكم كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

عباد الله: أدوا حق الله عليكم، واشكروا إنعامه عليكم، وأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعدائه وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينه، ويحي من حي عن بينه، ولا قوة إلا بالله ألا فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله، يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر وأجل، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الناس: إن الله تبارك وتعالى ليس له شريك في حقه، كما أنه ليس له شريك في ملكه، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته، واتباع أمره، وإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة، فألزموا كلمة الإخلاص. لا إله إلا الله، فإنها الفطرة، وأقيموا الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها الفريضة وصوموا رمضان فإنه جنة من العذاب، وحج البيت فإنه منفاة للفقر، مدحضة للذنب، وصلوا الرحم فإنها محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل، وعليكم بصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء، ويقي مصارع الهول.

معشر المسلمين: اعلموا أنكم ما أخلصتم لله في عملكم فربكم أطعتم، وحظكم حفظتم واغتبطتم، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم تقدمون على ربكم تجدوا كريم جزائه حين فقركم، وصادق حاجتكم.

معشر المؤمنين: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم حرام عليكم كحرمة الكعبة إلى أن تلقوا ربكم، فعظموا الحرمات فلا تنتهكوها، وقفوا عند الحدود فلا تعتدوها، وحافظوا على الفرائض فلا تضيعوها، ولا تزدروا نعم الله عليكم فتكفروها، ولا تصغوا إلى الشبهات فتشربوها وتحبوها.

معشر المؤمنين: قولوا الحق تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وإذا قلتم فأصدقوا، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فأعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا بالدنيا، ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ولا يغتب بعضكم بعضا، ولا يبهت المؤمن أخاه، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين، وارحموا المساكين، والأيتام، وأكرموا الضعيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنائز، واعلموا أن المغبون من غبن دينه، والمحروم من فاته العمل الصالح وهو يقدر عليه، وأن الخاسر من يصر على الحنث العظيم وهو يعلم شؤمه عليه، وتذكروا أن الرياء من الشرك، وأن إخلاص العمل من الإيمان، وأن مجالس اللهو تنسى القرآن، ويحضرها الشيطان، ومن لم يقبل الحق ابتلى بالباطل، ومن يعرض عن الهدى يتبع الهوى، ومن مل العافية جاءه البلاء، ألا وإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يبعد عن الحق، فاغتنموا المهلة في صالح العمل قبل النقلة، ولا تحتقروا مثاقيل الذر من الخير فإنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ولا تستهينوا بمثاقيل الذر من الشر فإنه من يعمل مثقال ذرة شراً يره {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وما أنزل الله من البيان الكريم أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله فاطر الخلق، وخالق الإصباح.

أحمده سبحانه يبعث الأجساد ويعيد فيها الأرواح، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. واشهد أن محمداً عبده ورسوله.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه إلى يوم يبعثون.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله الذي يبقي ويغني ما سواه، والذي بطاعته يكرم أوليائه، وبمعصيته يضل من عصاه، فإنه ليس لهالك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى، ولا في ترك حق

حسبه ضلالة، ألا وتعلموا القرآن وما نزل له من البيان تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه لم تبلغ منزلة ذي حق – مهما كان شأنه – أن يطاع في معصية الله، وإن من أُمِر بطاعة لله، أو فيما لا معصية لله تعالى فيه، فليطع فإن ذلك من الطاعة في المعروف التي يثاب المطيع بها من الله يوم ينظر كل امرئ ما قدمت يداه.

أيها المسلمون: اعتصموا بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم، فإنه جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص، وعليكم بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع ولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأنجح، وأدى الحق الذي عليه وأربح، ومن يعصي من ذلك فقد أثم وخسر ولم ينصح، ألا وإن ولي الأمر – تولاه الله بعنايته، وزاد في هداه وتوفيقه لطاعته، والرحمة لرعيته، والإغاظة لأعداء ملته، قد وجهكم إلى التقيد بأنظمة السير والمرور، ومراعاة أمور الجوازات والإقامة والتعاون مع موظفي تعداد السكان، بتقديم الحقائق، وحفظ الوثائق، والإبلاغ عن كل مخالف ومارق، صيانة للحرمات، ودفعاً للفتن المضلات، وقطعاً لسبل الفساد، تحقيقاً وتصحيحاً للخطط التنمية، فيما فيه صلاح البلاد والعباد، في أمر المعاش والمعاد، فتعاونوا على البر والتقوى، وما فيه الاستمساك والعمل بالعروة الوثقى، وإبطال كيد المفسدين وأهل الأهواء، والحاسدين والسماعين للأعداء، ألا وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى قد أمركم بذلك في أمر بدأ فيه بنفسه.

فضل طلب الرزق وتعاطي أسبابه

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والسعي في رضاه، والشكر له تعالى على سابغ نعماه، وأن يتوب كل واحد منا مما اقترفه وجناه فتلكم الخصال جماع أسباب السعادة، وموجبات الحسنى والزيادة، وجالبات الرزق المبارك وكريم الإفادة.

عباد الله: طلب الرزق فطرة فطر الله تبارك وتعالى عليها الخلق، ولقد يسر الله سبحانه وتعالى وكثر أسباب الرزق، وحظ سبحانه وتعالى على التماسها وتقواه فيها بقوله الحق { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } وقوله سبحانه { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } وقال جل ذكره { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وفي المسند عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني» ولقد مر رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأوا من جلده ونشاطه فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله.

أيها المسلمون: قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيبتغي به من فضل الله عز وجل، فإن فيه العبادة والتصديق، وايم الله لأن أموت في شعبتي رحلي وأنا ابتغي بمالي في الأرض من فضل الله أحب إلي من أن أموت على فراشي وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة: يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.

معشر المسلمين: وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أمر عباده بالابتغاء من فضله وتعاطي أسباب رزقه، ومتنوع فضله في البيع والشراء، والإجارة والكراء، الوظائف العامة وعند المؤسسات الخاصة واتقان الصنائع والمهن، وأداء الأمانة والتحقق بالنصح وإتقان العمل، والتماس فضل الله وما قسم لعبادة في الاتجار، والإيجار، وما أودع من رزقه في القفار، وأجواف البحار والصف في الأسواق والشركات التي معها الصدق والبيان بعد الاتفاق فقد قرر لهم سبحانه حقيقة يقينه من أصول العقائد الحقة وهي أنه وحده سبحانه هو الرزاق فلا رازق غيره كما لا رب سواه فالرزق كله عنده وحظ العبد منه ما قسمه قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } وقال

سبحانه { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ } وقال سبحانه { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } فسمى سبحانه نفسه الرزاق وتمدح بِالْرَّزْقِ وجعل ذلك من صفاته العلية وأفضاله الجلية وأفعاله الحكيمة التي يستحق سبحانه الثناء عليها من كل وجه وبكل اعتبار، ويستحق التوحيد والشكر عليها من الأخيار والفجار فهو سبحانه الذي ييسر الأسباب ويفتح للرزق الأبواب ولقد أثنى الله تبارك وتعالى على نفسه بالغنى المطلق عن جميع الخلق، وحاجة الخلق إليه فقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } وفي الحديث القدسي الصحيح يقول تعالى يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم الخ الحديث وفيه يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إخباره عن ربه تبارك وتعالى على وجه الثناء عليه وحظ العباد على ابتغاء الفضل منه يقول صلى الله عليه وسلم خزائن الله ملأى ويداه سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر وقال صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم حاجته حتى شسع نعله إذا انقطع فإنه إن لم ييسر الله لم يتيسر.

أيها المؤمنون: ولقد أجمعت رسل الله على الصلاة والسلام – المرسلة إلى كل أمة وكتب الله المنزلة، على ابتغاء الرزق من الله وعدم التماسه أو انتظاره من أحد سواه. فالرزق عند الرب الحق وليس عند أحد من الخلق كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه { فابتغوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } وفي المأثور عن نبيكم صلى الله عليه وسلم قوله «إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره، فاتقوا الله واجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته».

معشر المؤمنين: وكما أخبر سبحانه عباده أن أمر الرزق عنده، وأن حظ العبد منه ما قسمه، وحظ عباده على ابتغاء فضله، والشكر له، فقد شرع لهم وسائل كسبه، وأباح لهم أسباب تحصيله، وأمرهم بتعاطيها، وابتغاء فضل الله تعالى فيها، وجعل ذلك من كريم الطلب، ونفيس القرب، ووعدهم على ذلك جزيل الثواب، والرزق من غير حساب، هداية لأولي الألباب، إلى خير الدنيا وحسن المآب.

أيها المؤمنون: وإذا كان دعاء الله تعالى، وصدق اللجاء إليه، وكمال الافتقار إليه، وتعاطى ما أباحه الله وشرعه من أسباب، مع حسن الظن به سبحانه في طليعة أسباب تحصيل واسع الفضل،

وكريم الرزق من الحق، فإن الصلاة فريضة ونافلة أثراً مباركاً في تيسير الرزق المعنوي والمادي وتعجيله قال تعالى {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} وفي سنن الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك. وفي ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أوديتها هلك وفي ابن ماجه أيضاً عن زيد بن ثابت رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، فتوحيد الله تعالى في الباطن من النية والقصد والافتقار وحسن الظن، وتوحيد الله في الظاهر بالمحافظة على الصلاة وفعل الطاعات والتقوى بترك المخالفات والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئات هي جماع أسباب الرزق وموجبات الغنى عن الخلق وحسبكم قول الحق عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.

معشر المسلمين: وكذلكم من أعظم أسباب الرزق كثرة الاستغفار والإخلاص لله تعالى فيه حيث يتواطأ القلب واللسان والجوارح على ترك الذنوب، والندم على فعلها وجلا من علام الغيوب، والإلحاح على الله تعالى بطلب محو إثمها وصرف عقوبتها دنيا وآخرة وما أكرم المطلوب قال تعالى على لسان نوح عليه السلام {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا }، وفي المسند بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب.

أيها المؤمنون: والتوكل على الله تعالى بتفويض الأمر إليه وصدق الاعتماد عليه مع الثقة به وتعاطي ما شرعه الله سبحانه لتحصيل المطلوب وإتقاء المرهوب من أكرم الخصال التي يستجلب بها الرزق قال تعالى {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} أي كافيه وفي المسند وغيره بإسناد صحيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا وقال بعض السلف توكل تسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف.

معشر المؤمنين: وكم لصلة الرحم أي القرابة من أثر مبرك في تيسير الرزق وكثرته وحلول البركة فيه ودفع النقمة عنه قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في العمر.

أمة الإسلام: والإنفاق في وجوه الخير وما أباحه الله تعالى من أوسع أبواب الرزق قال تعالى {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} وقال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ} الآيتين إلى قوله والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبارك الله تعالى «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك».

أمة القرآن: والحج والعمرة سببان مباركان في تقي الفقر وكثرة الرزق قال تعالى في سياق أحكام الحج {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} وقال صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينقيان الفقر والذنوب كما ينقي الكير خبث الحديد والذهب والفضة.

التحذير من خطر المخدرات ووجوب محاربة أهلها

الخطبة الأولى

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله وخذوا حذركم وتفكروا في زمانكم وما حولكم فإنكم في زمان قل فيه الهدى، وغلب على أهله اتباع الهوى وتكالبت فيه الأعداء، فعظمت الفتن وكثرت الشرور، وتنوعت المكائد، وغزى أهل الإسلام من كل صوب وقوتلوا بكل سلاح، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط.

عباد الله: من كبير الفتن وواسع أبواب الشر، وأفتك أسلحة الدمار الشامل التي وجهت إلى المجتمعات الإسلامية وغيرها في هذا العصر، غزو المجتمعات بسلاح المسكرات والمخدرات، ذلكم الغزو الكبير، والكيد الخطير، والسلاح المشؤم الذي لا سابقة له، ولا وقاية منه، ألا بصدق اللجاء إلى الله لطلب العافية والاستعانة به على المواجهة ثم الأخذ بأسباب السلامة، والنأي عن مواطن الفتنة، وقرناء السوء ومن لا تعرف حاله أو يشك في توجهه وقصده، وهذا في الفتن عامة وفتنة المخدرات خاصة، فقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وإن السعيد لمن جنب الفتن ووعظ بغيره، ولمن ابتلى فصبر، وإن الشقي من وعظ بنفسه، وقاد نفسه اختياراً إلى حتفها ورمسه، في أسوء حال، وإلى أشقى مآل.

أيها الناس: إن المسكرات، وأنواع المخدرات، آفة فظيعة، وجريمة شنيعة، تقود إلى جرائم كبيرة، وآثام خطيرة، فهي آلة إفساد، وموروثة فساد، فما حلت في مجتمع، وانتشرت فيه، إلا رمت أهله المصابين بها، بسعار من محرم الشهوات، وأغرقتهم في حمأة من نتن اللذات، والتي سرعان ما تضمحل لتعقبها الأوبئة المهلكة السارية، والأمراض المعدية، والمصائب الدينية والبشرية والمالية التي لا حصر لها، ناهيكم بخلق بيئة تصنع الإجرام، وتتفنن في ارتكاب الآثام، والاعتداء والإفساد للكل محترم من خاص وعام، إلا فاتقوا الله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب.

أيها المسلمون: إن المسكرات والمخدرات آفة العصر، ومشكلة الدهر، لقد عصفت رياحها المشؤمة بالدين، والنفوس، والعقول، والأموال، فإنها قد أمعنت في بذر الخراب، وصناعة الفساد، وحصد الأرواح، وهدر الأموال، والقضاء على القيم، وإيجاد أوكار الإجرام.

معشر المسلمين: حروف – خدر – في اللغة تدل على سترة وظلمة، وفتور واسترخاء، فالمخدر في اللغة ما يترتب على تناوله كسل وفتور وضعف واسترخاء وفيه معنى الستر والتغطية

والمخدرات في الاصطلاح اللغوي: مواد نباتية، أو كيماوية، لها تأثيرها السلبي، العقلي، والبدني، على من يتعاطها، فتصيب جسمه بالفتور والخمول، وتشل نشاطه الذهني، والعصبي، وتغطي عقله، كما يغطيه المسكر، وأن كانت قد لا تحدث الشدة المطربة التي هي من خصائص المسكر المائع فاسمها دال على معناها، ونعتها نذير خطر بمخباها، وحال أهلها عظة من عوفي منها.

أمة الإسلام: أما المخدرات في الاصطلاح الطبي والقانوني: فهي مواد كيمائية، خام أو مستحضرة تحتوي على عناصر مسكنة أو منبهة منشطة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية المخصصة لها وبقدر الحاجة إليها ودون استشارة طبية أن تسبب الإدمان، وتسمم الجهاز العصبي وتؤدي إلى غياب الوعي، أو النشاط غير المنضبط فهي تتصف بجميع أنواعها بالسيطرة على متعاطيها سيطرة تؤدي إلى الانهيار النفسي والبدني والعقلي المؤكد.

أيها المؤمنون: أما المخدرات من حيث أصل مادتها فهي ثلاثة أنواع:

الأول: مواد مخدرة طبيعية وهي من أصل نباتي مثل الحشيش والأفيون والكوكا، والقات.

الثاني: مواد مخدرة تضيعية وهي التي تستخلص من المواد الطبيعية وتجري عليها عمليات كيميائية لتصبح أشد تركيزاً وأبلغ أثر مثل المورفين والهيروين والكوكايين ونحوها.

الثالث: مواد مخدرة تخليقية وهي عقاقير من مواد كيمائية لها نفس تأثر المواد المخدرة الطبيعية والتصنيعية وتخرج على شكل كبسولات أو حبوب أو أقراص أو حقن أو شربة أو مساحيق، منها ما هو منوم أو مهدي أو مهلوس أو منشط.

معشر المؤمنين: ولقد تفنن ذووا الإجرام بالمخدرات تصنيعا وترويجا، وإغراءاً بها، وصيداً للأبرياء والبسطاء فقد أجرموا في صناعتها ليصيدوا بها فجأة، ويسرعوا في الكرة، ويعودوا مرة بعد مرة إمعاناً في المكائد الشيطانية وتمرداً على الجهات الرقابية، فصنعوا منها غازات طيارة توجه للأفواه والأنوف والأعين، وأخرى مواد لاصقة توضع في أي مكان من الجسم، وثالثة حقنا تغرز بسرعة وسهولة في أي عضو، وأقلها شأناً وهي خطيرة خطر سابقاتها الأقراص المنشطة والمهدئة التي تفسد المزاج وتسبب الإدمان، وتعلق المصيد بالصائد حتى يبذل دينه وعرضه وحياته فضلاً عن ماله، وجلب غيره إليه مقابل جرعة مخدرة، وصفقة خاسرة، في الدنيا والآخرة.

أمة الإيمان: حقاً إن المسكرات والمخدرات لغم يهدد الحضارة بالاضمحلال، والقيم بالزوال، والأخلاق بالفساد والثروات بالتلف، إنها الموت والفناء معبأ في أقراص، وحقن وما يشم، ويستعط، وإنها والله السم متنكراً، في ألوان وأشكال يروج لها، ويغري بها بأسماء جذابة وألوان

مغرية، ونتائج مكذوبة مزخرفة، أما الضحايا المستهدفة فهم أجناس البشر، من مختلف الألوان، والأعمار، والأديان والأماكن.

أمة القرآن: وإذا كان الله جل وعلا، قد أمر باجتناب الخمر مبيناً جملة من أضرارها، وأخطارها، ومنها على أن تزيين شربها والإغراء بها من عمل الشيطان، ليوقع به العدوان والبغضاء بين المسلمين، ويصدهم عن ذكر الله، وعن الصلاة، ونحو ذلك مما ينقص الإسلام أو ينقضه فقال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} وللتأكيد على خبث الخمر وشره وشؤمه وسوء عواقبه دنيا وآخره قرنه الله عز وجل بالأوثان والميسر والأزلام ونحوها من كبائر وعظائم أهل الجاهلية التي أشقتهم في دنياهم، وجعلتهم من الأخسرين أعمالا في أخراهم، المستوجبين لغضب الله ولعنته والخلود في شديد عذابه. وأليم عقابه.

عباد الله: – وإذا كان هذا شؤم المسكرات والمخدرات – فإن من مهام نبيكم صلى الله عليه وسلم التي بعث بها ووصف بها في الكتب السابقة ما ذكره الله تعالى يقول: {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} ومعلوم أن المخدرات أخبث الخبائث وقد حرمها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن مات وهو يشرب الخمر يدفعها لم يشربها في الآخرة " وقال عليه الصلاة والسلام: ما أسكر كثيره فقليله حرام " ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مستفيضة والتي جمع فيها النبي صلى الله عليه وسلم – بما أوتي من جوامع الكلم – بين كل ما غطى العقل وما أسكر وما فتر بتسميته خمراً وتعميمه في حكم التحريم طرأ، ولم يفرق بين نوع وآخر، كما دلت النصوص بهذا الخصوص على أنه لا تأثير في كونه مأكولا أو مشروبا أو غير ذلك من فنون التعاطي والاستعمال في الحكم فالكل خمر والكل حرام لخبثه وشدة ضرره وكبر إثمه وخطره. وعظم الجناية به وبسببه.

أمة محمد صلى الله عليه وسلم: إن في المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها من المفاسد والأضرار، والأخطار، أضعاف أضعاف ما في الخمر من حيث وإفساد الأديان وإهلاك الأبدان وتدمير العقول وهدم الأخلاق والقيم وإضاعة المال، وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فالخمر جماع الخبائث وبوابة الشر، والمخدرات أكبر منها وأضر وأخطر، فمتعاطي الخمر أو المخدرات كلاهما يفقد عقله ويتصرف تصرفات طائشة تثير الفتنة والخلاف والشقاق وتسبب العداوة والبغضاء، وكلاهما مما تنتج عنه الغفلة عن ذكر الله وعن الصلاة وسائل

المأمورات حال فقدان العقل فإذا كانت علّة الحكم في تحريم الخمر والعقوبة عليه هي تغطية العقل وما تحدثه من ضرر في البدن والمال وما تسببه من تعطيل المأمورات وارتكاب المنهيات وانتهاك الحرمات فإنها في المخدرات أظهر وأكبر بل إن المخدرات بجميع أنواعها أعظم خطراً وأشد ضرراً وأقوى فتكاً في متعاطيها وحرمانه وحرمان غيره وحجم جنايته على نفسه وغيره.

معشر الأكارم: ولقد اتفق علماء الملة الإسلامية على حرمة تناول القدر المؤثر على العقل من المواد والعقاقير المخدرة تحريما قطعياً فيحرم تعاطيها بأي وجه من وجوه الاستعمال أكلاً أو شرباً أو شماً أو سعوطاً أو تدخيناً أو حقناً في الأوردة أو غير ذلك صرحوا بكونه كبيرة من كبائر الذنوب الموبقة الموجبة للعقوبة في الدنيا والآخرة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله في حكم تناول الحشيش هذه الحشيشة الصلبة حرام سواءً أسكرت أو لم تسكر، والمسكر منها حرام باتفاق المسلمين ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً لا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وقال الضعاني رحمه الله: إنه يحرم ما أسكر من أي شيء وإن لم يكن مشروباً والفقهاء متفقون على عدم التفريق في الحكم بين المواد السائلة والمواد الجامدة.

فدل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن المخدرات بجميع أنواعها وكافة أشكالها محرمة شرعاً تحريماً قطعياً، أما لدخولها في عموم المسكرات أو لقياسها على الخمر – قياسه علة – لمشاركتها له في الإسكار وتغطية العقل – وهي علة الحكم بالتحريم أو قياس أولى لأنها أخطر من الخمر وأضر وأقبح وأشر فلا يرتاب في تحريمها عاقل لا يستحلها إلا مكابراً أو ملحداً فاجر قد فتن بها وعمى عقله وبصره عن ضررها وشؤمها حالاً ومآلاً، ومثل هذا لا يزيده الجدال والتذكير إلا خبالاً.

أمة الإسلام: إذا تقررت حرمة المخدرات شرعاً وأنها من الموبقات فإن الإعانة على تناول المخدرات كبيرة موبقة ولعنة الله عليه متحققة فإنها إعانة على الظلم والإثم قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } ومعصية الرسول، وفي صحيح مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام وعن أنس رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري والمشتراة له فيحرم تعاطيها بأي وجه من وجوه التعاطي كما تحرم زراعها وصناعتها والاتجار بها وبيعها وإهداؤها وتهريبها وترويجها والتعامل بها بأي وجه كان وعلى أية صفة والإعانة

والمشاركة في محرمة ولا شبهة في تحريمها ومعصية المعين عليهـــا واســـتحقاقه للعقوبـــة في الـــدنيا والآخرة.

أخوتي في الله: إن متعاطي المخدرات تجارة وترويجاً واستعمالاً أصحاب كبائر موبقة، وجرائم متعدية يستحقون عليها أبلغ العقوبة في الدنيا وما عند الله لهم من العقوبة والنكال في الأخرى إن لم يتوبوا أشد وأبقى إن لم يتوبوا إلى ربهم ويعودوا إلى رشدهم ويصلحوا ما أفسدوا فالمتجر بالمخدرات يتجر بالحرام ويروج الإجرام وإن الله تعالى إذا حرم شيئاً حرم ثمنه، فهو أكال للسحت وساعي بالأضرار بالمسلمين ومن ضار ضار الله به ومثله المروج للمخدرات فكلاهما أكال للسحت ساع بالفساد متسبب في الإفساد فجزاؤهم جزاء المحاربين المفسدين في الأرض أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

الخطبة الثانية

عباد الله: لا يرتاب عاقل أن المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها أشد ضرراً وأكبر خطراً من الخمر وأن إدمانها يذهب العقل بالكلية، ويفتك بالبدن بكافة أجهزته فيفسدها ويعطلها، ويصيب مستعملها بالتبلد وعدم الغيرة، ويجعل طبيعته تميل تارة إلى الجبن والذلة والخنوع وأخرى إلى العدوان والإجرام فهي حرب على الضرورات الخمس التي هي الدين، والنفس، والعقل والعرض والمال، والتي أجمعت جميع الشرائع السماوية على حفظها، واتفقت الأنظمة المرعية على صيانة حقوقها ووضع الأنظمة الهادفة إلى منع الاعتداء عليها، وتغليظ العقوبة على الجناية عليها.

أيها المسلمون: ولقد نالت هذه الظاهرة الخطرة والنازلة المشؤمة اهتمام العالم بأسره، بكافة دوله ومؤسساته، ونظمه وهيئاته وشغلت مقاومتها والقضاء عليها أذهان المصلحين والغيورين في العالم لدرء شرها، ودفع خطرها، ووقاية المجتمع الإنساني منها، فعقدت لهذه الظاهرة والنازلة مؤتمرات، وتشكلت لها هيئات، وأنشئت من أجلها مؤسسات، وعقد بشأنها اتفاقيات واتخذت قرارات كل ذلك مما يؤكد عزم عقلاء البشرية وقادتها على مقاومة المسكرات والمخدرات ودفع أخطارها وشؤمها عن المجتمعات.

ذلكم أيها المؤمنون لأن مقاومة هذه الظاهرة «التي عم شؤمها الأديان والأبدان والعقول والأعراض والأموال والصحة والأمن» مسؤولية تضامنية لا تقتصر على فرد دون فرد ولا تعني دولة دون أخرى. ولا مؤسسة دون نظيرتها بل لا بد من تكامل كل الجهود، وحشد سائر الإمكانات والانطلاق من كافة المواقع بحسب القدرات لمحاصرة تلك الظاهرة في كل صقع وؤدها

في كل موقع، وعزل المصابين بها عن كل مجتمع حتى يشفوا منها، أو يهلكوا بها، ولا تسري آفتها وعدواها منهم إلى من سواهم، وإن السعيد من وعظ بغيره إن الشقي من وعظ بنفسه وسعى في رمسه.

معشر المؤمنين: ولقد وفق الله تبارك وتعالى ولاة أمرنا «زاد الله في هداهم وسدد في دروب الخير خطاهم» في اتخاذ الإجراء المناسبة لمحاربة هذه الظاهرة المشؤمة فاستصدروا الفتاوى القاطعة، واتخذوا الاجراءات الرادعة، ومن ذلك قتل المهربين، وعقوبة وتغريم المروجين والمستعملين، واستصلاح المغرر بهم بحبسهم، وعلاجهم، والاجتهاد في هدايتهم رجاء عودتهم إلى المجتمع معافين صالحين، فكانت محاربتهم لهذه الظاهرة الخطيرة، شرعية حكمة حازمة، جازمة رحمة جازمة فاشكروا لربكم تبارك وتعالى توفيقه، واذكروا الولاة أمركم في علاج تلك الظاهرة حسن الطريقة، وتعاونوا مع الجهات المعنية بهذا الأمر حقيقة، واسألوا ربكم جل وعلا العصمة من شر ما تجري به المقادير وشر كل ذي شر من الخليقة.

خطبة متضمنة جملاً مأثورة عن خطب النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله على هداه والشكر له على سابغ نعمه، وأسأله المزيد من جوده وكريم عطاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله المسلمين، وولي الصالحين.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده صلى الله وسلم عليه وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل، أولئك هم المفلحون.

أما بعد: أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله والعمل بما فيه رضاه، وأن يتوب كل أحد منا مما جناه قبل لقاء الله، ونظر كل امرئ منا لما قدمت يداه.

أيها المسلمون:

هاكم جملاً كريمة، وحكماً حكيمة من مأثور جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب ويعظ بها أصحابه، وهي عظة ونصيحة لعامة أمته فأصغوا إليها الأسماع، وأعقلوها بقلوبكم لغرض الانقياد والإتباع، فإنها من بليغ الموعظة وخالص النصيحة.

قال صلى الله عليه وسلم: أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنة سنة محمد صلى الله عليه وسلم، وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العمل ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب.

عباد الله: ومن قيله صلى الله عليه وسلم قوله: أعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول – أي الأخذ من بيت المال بغير حق – من جثاء جهنم، والكنز – أي المال الذي لا تؤدي زكاته – كي من النار والشعر – أي الغناء – من مزامير إبليس والخمر جماع الإثم، والنساء – أي الأجنبيات – حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع – أي القبر – والأمر بأخره وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب وكل ما هو آت قريب أيها الناس: ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم قوله: من يتألى – أي يحلف على الله يفعل الله الشيء أو لا يفعله – يكذبه

الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف – أي عن غيره مصلحاً – يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يتبع السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضاعف الله له، ومن يعصى الله يعذبه.

مما يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم قوله: أهربوا من النار، واطلبوا الجنة جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة بالشهوات واللذات فلا تشغلنكم عن الآخرة شهوات الدنيا ولذاتها.

أيها المسلمون: ومما أثر عنه صلى الله عليه وسلم قوله عليه الصلاة والسلام:

«خمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده، وخمس من لقى الله بهن مستيقناً قلبه وجبت له الجنة من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأيقن بالموت والحساب، والجنة والنار. وخمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وآتى الزكاة من ماله طيبة بها نفسه وأدى الأمانة».

أيها المؤمنون: ومما وعظ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته قوله «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم، إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، وخير الصدقة ما كان على ظهر غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول: أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك، أدناك». ألا وإن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار، أنفق وأطعم، ولا تصُر صرا فيعسر عليك الطلب وأعلم أن الله يحب النظر النافذ عند الشبهات والعقل الكامل عند نزول الشهوات، ويحب السماحة ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب.

معشر المؤمنين: ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم قوله:

«طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

أمة الإسلام: لقد وعظتم فاتعظوا، وسمعتم فأعقلوا مما وعرفتم فألزموا، وبلغتكم الحجة فأعملوا وأثبتوا فإنكم عما قريب إلى ربكم منقلبون وبين يديه موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى تفريطكم نادمون، سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما صبح بدا، وليل دجى، إلى أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور، وينقسم الناس إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

عباد الله: من بليغ مواعظه صلى الله عليه وسلم – وكلها بليغ – قوله صلى الله عليه وسلم:

أيها الناس: إن لا دنيا لمن لا آخرة له ولا آخرة لمن لا دنيا له، وإن الله تعالى قد أبلغ في المعذرة، وبلغ في الموعظة، وإن الله، تعالى قد أحل كثيراً طيباً فيه سعة وحرم خبيثاً فاجتنبوا ما حرم الله عليكم.

وأطيعوا الله عز وجل، فإن الله لن يحل شيئاً حرمه، ولن يحرم شيئاً أحله، وإن من ترك الحرام وأحل الحلال أطاع الرحمن، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، واجتمعت له الدنيا والآخرة، ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل من البر والفاجر، وإن الآخرة أجل صادق يقضي فيها ملك قادر، وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، وإن الشر كله بحذافيره في النار، فاعملوا وأنتم من الله على حذر وأعلموا أنكم معرضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

عباد الله: إن الله تعالى قد أمركم بأمر بدا فيه بنفسه وثنى فيه بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم:

أيها المؤمنون: من جنه وإنسه، فقال تعالى قولاً كريماً {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً» اللهم صلى وسلم وبارك على عبد الله ورسولك محمد وآله وصحبه ومن اتبعه، بإحسان وسار على نهجه. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

في البركة والتبرك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وآله وأصحابه وأتباعه على ملته وشريعته إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: البركة هي كثرة الخير وثبوته في الشيء ونماؤه وزيادته، والتبارك ثناءٌ أثنى الله على نفسه من فعله وإحسانه أي يجعل البركة في الشيء من أمره وخلقه فيجعله مباركا تنال البركة بالتبرك به ولقد تكرر في التنزيل الكريم، والذكر الحكيم ذكر التبارك مضافاً إلى الله «تبارك الله» خبراً ووصفاً وفعلاً في سياقات متنوعة، فورد في سياق بيان عموم ربوبيته تعالى للخلق عامة ولأهل الإيمان بالله تعالى المخلصين له من الخلق خاصة. قال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} وجاء كذلك في سياق الاستدلال بعظمة خلق السموات والأرض وما بينهما وما في ذلك من آيات العلم والقدرة ومعالم الحكمة والقوة، وبراهين واسع الفضل والرحمة في ستة أيام ثم استواءه سبحانه وتعالى على العرش الذي هو سقف المخلوقات وأعلاها. وهو أعظم وأكبر وأوسع المخلوقات، ومنه يتنزل ويرفع أمر الخلق والملك إلى غير ذلك من وجوه عظمة هذا العرش الكريم وأن خلقه وسعته .. واستواء الله تعالى عليه من أعظم موجبات إفراده تعالى بالإلهية.

قال تعالى {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} الآية.

وورد في سياق إنزال الفرقان الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وبه تستنير البصائر، وتصلح السرائر ويهتدي الحائر، وتقوم به الحجة على كل مشرك كافر، ومنافق خاسر قال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ففرق سبحانه به بين الهدى والضلال والحق والباطل والحلال والحرام فتبارك وتعالى.

أيها المسلمون: وورد التبارك كذلك في سياق الامتنان على العباد بحسن خلقهم وجمال صورهم وتسخير الأرض لهم وما رزقهم الله تعالى من الطيبات {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ}.

عباد الله:

واسم الله تبارك وتعالى أعظم ما يتبرك به فإنه تحل البركة بذكره ومعه قال تعالى {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}، ولهذا تشرع التسمية في مقامات كثيرة ومناسبات شهيرة جاء في نصوص عدة مشروعية التسمية عندها أو معها لتحل البركة فيها بذكر اسمه، وتحقق العصمة من الشيطان وكل الشر وأهله، فتشرع التسمية عند الدخول والخروج، والأكل والشرب، والطهور، واللبس، والخلع، والجماع والنوم والتعرض لأمر مؤذي أو توقع مخوف، ونحو ذلك مما جاءت النصوص بالتسمية عند البداءة به أو الدخول فيه.

أيها المسلمون: وكما أن إسم الله مبارك كل البركة بذكره ومعه ففي كلامه سبحانه، وما شرعه من دينه وما جعل الله البركة فيه من خلقه ما يتبرك به وفق شرعه فتنال البركة منه في القرآن ذكر مبارك ليستجلب به البركة، فهو ذكر وضياء، وتبصرة وذكرى، وموعظة، وشفاء وإلى كل سبيل أقوم هدى، يقول تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ} ويقول سبحانه: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}.

معشر المسلمين: وتحية المؤمنين السلام تحية طيبة مبارك تحل بها البركة ويستجاب بها الدعاء وتنتشر المحبة والمودة يلقي المسلم على أهله وذويه وأهل ملته .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيردونها عليه أو يزيدون دعوة صالحة كذلك عملاً بقوله تعالى {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} وقال سبحانه {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم المسلم إذا دخل بيته أن يسلم على من فيه تكن بركة عليه وعلى أهله.

معشر المسلمين:

وهكذا صلة الرحم من الأعمال الميمونة التي تنال بها البركة. ويتقي بها الضرر والنقص يقول صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينسأ له في أثره ويبسط له في رزقه ويبارك له في عمره فليصل رحمه ويقول صلى الله عليه وسلم صلة الرحم بركة في الرزق ومنسأة في الأثر ومحبة في الأهل.

أيها المؤمنون:

وهكذا جميع الطاعات المفروضات والمستحبات وترك السيئات والتوبة إلى الله تعالى من أنواع الخطيئات والكبائر الموبقات من خصال التقوى التي تتنزل بها البركات وتدفع بها الشرور والمهلكات.

يقول الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ويقول سبحانه {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا} إلى قوله تعالى {لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}.

وهكذا معاشر المؤمنين جعل الله تبارك وتعالى في الأرض أماكن مباركة تنال البركة بقصدها وتعظيمها واحترام حرمتها والتعبد لله تبارك وتعالى بما شرع فيها كالمسجد الحرام ومواقع المناسك العظام ومسجد النبي عليه الصلاة والسلام والمسجد الأقصى ثالث المساجد العظيمة التي أسست على التقوى وبنيت بأيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالتمسوا البركة بقصدها وزيارتها والتعبد لله تعالى بما شرع فيها من تعظيمها واحترامها وتنزيهها عما لا يشرع فيها. من الشرك والبدع واستحسان من ابتدع.

معشر المؤمنين:

وهكذا من عباد الله من جعله الله مباركاً على نفسه وأهله ومن اتبعه واقتدى به على هديه وفي طليعة أولئك رسل الله تبارك وتعالى وأنبياؤه الله عليهم الصلاة والسلام ومن اقتدى بهم على هداهم ممن شرع الله لهم إتباعهم.

قال تعالى قيل يا نوح أهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وقال تعالى في إبراهيم {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ}.

ولذلك صار بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيت في الأرض على الإطلاق. فلم يبعث بعده نبي ولم ينزل كتاب إلا في ذريته باتفاق قال تعالى {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}.

وهكذا نقول في التشهد في الصلاة اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أيها المؤمنون:

من ذرية إبراهيم عليه السلام عيسى بن مريم عليه السلام الذي أخبر عن نفسه بقوله {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}، وهكذا كل من اتبع من لزمه اتباعه من النبيين والمرسلين على ما جاءوا به من العمل والهدى وتقرب إلى الله تعالى بفرائض الطاعات وترك السيئات والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئات وهدى عباد الله إليه بالعلم والعمل، وكف أذاه عن

الخلق بغير حق، وأحسن جعله الله مباركاً أينما كان وأسعده له الشأن في الدنيا والآخرة وجعله في عصمة من الشر ومن كل شيطان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} الآيات.

الحث على تعاطي أسباب الرزق المشروعة والمباحة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، فإن التقوى وصية الله للأولين والآخرين وأسس دعوة المرسلين والنبيين، وزبدة هداية الكتاب المبين ألا وإن حقيقة التقوى فعل ما أمر الله به قدر الاستطاعة، واجتناب ما نهى الله عنه حال الانفراد أو في الجماعة، والتوبة إلى الله تعالى من كل خطيئة قبل الغرغرة وقبل قيام الساعة، ألا وإنه من يتقي الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويعلمه الله، ويجعل له من أمره يسرا، ويكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، وينجه من النار، ويورثه الجنة مع الأخيار.

فاتقوا الله – عباد الله – فإنكم عما قليل إلى ربكم منقلبون، وبين يديه موقفون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

عباد الله إن من أعظم خصال التقوى، وموجبات الكرامة والعزة في الدنيا والأخرى، أن يتعاطى المرء سبباً من أسباب المعيشة من صنعة، أو حرفة يتقنها، أو تجارة يحسنها، أو فكرة ومخترع ينفع بها مجتمعه وينتفع من ورائها، فتكون له وظيفة يعف بها نفسه ويعول بها ذويه، ويفيد بها غيره ويحسن بها إلى من يليه، ويكون بها حراً غير مستعبداً إلا لله وحده خالقه وباريه قال تعالى {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} وقال تعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وقال تعالى {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} وقال سبحانه {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} وقال سبحانه {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} ولقد قرن سبحانه وتعالى الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل بالمرضى والمجاهدين في سبيل الله في العدو أو الفضل الأجر قال سبحانه {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}.

وكم فيما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الحاثة على تعاطي أسباب الرزق بأنواع الكسب وشريف الصناعات والمهن مما يغري العقلاء أن يجعلوا طلب الرزق مع التقوى من جليل العمل الصالح وعظيم أسباب تحصيل المتجر الرابح.

وفي البخاري رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه – يعني عن الحاجة إلى الناس – خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

وفيه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» وفي صحيح مسلم رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان زكريا عليه السلام نجاراً».

أيها المسلمون: ولقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يتعاطى أسباب الرزق يستغني بها عن منة الخلق، ففي أول أمره قبل البعثة كان صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة. أي يرعى الغنم بأجرة، ثم تعاطى صلوات الله وسلامه عليه التجارة بأموال خديجة رضي الله عنها عن طريق الرحلة إلى الشام فاشتهر فيها صلى الله عليه وسلم بعظيم أمانته وحسن تصريفه ويمن تجارته ورجاحة عقله وكرم سفارته، ثم بعثه الله برسالته وشرع له الجهاد لتبليغ رسالته ونشر دعوته جعل الله رزقه تحت ظل رمحه فاحل له ولأمته الغنائم وجعل له نصيباً من الخمس من سائر المغانم.

أيها المؤمنون: فهذه نزر يسير من كثير من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة توضح لكم وللعالم أجمع أن دين الإسلام دين بناء وعمل، وأنه حرب على البطالة والكسل، دين يحمل أهله على الكسب والجد في عمارة الأرض، ويجعل ذلك من قبيل المستحب أو الفرض.

معشر المؤمنين: ولقد كان لأهل الغنى واليسار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثر العظيم في إظهار دين الله عن طرق إعتاق العبيد على الإسلام: وابتغاء ما عند الله، في تجهيز المقاتلين والجيوش لإعلاء كلمة الله، وإيواء المهاجرين. والمستضعفين من عباد الله، حتى بشروا بالمغفرة والجنة ورفيع الدرجات وجزيل المثوبة على هذا الإنفاق لله وهم يمشون على الأرض قبل أن يلقوا الله، وحسبكم تقرير النبي الكريم عليه وعلى آله وأصحابه أكمل الصلاة وأزكى التسليم للذين قالوا ذهب أهل الدثور – أي الأموال العظيمة ابتغاء وجه الله – بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم – بقوله صلى الله عليه وسلم: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أمة الإسلام: وإنه لمن المحزن جداً أن يظل المجتمع عالة على أبناء غيره في تجاراته، وصناعاته، وفي بناء مساكنه وصيانة معداته، وفي خدماته ومتنوع حاجاته، من صيانة الأجهزة والمراكب، إلى ما يتعلق بالملابس والأثاث وأمور المأكل والمشارب، وأبناؤه في غاية من قوة الشباب، ووجود الحاجة

وتوفر الأسباب، لكن كثيراً منهم قد آثر الكسل على العمل، ورضوا بالاتكالية والدونية والشكوى إلى الله عز وجل.

فاتقوا الله أيها المؤمنون: واكلفوا ما تطيقون من العمل، وأجعلوا طلب الرزق بالأعمال الشريفة والمهن والأسباب المباحة من صالح ما تتقربون به إلى الله عز وجل، فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد صافح رجلاً فوجد في يده خشونة من العمل، فقال: إن هذه يمين يحبها الله عز وجل وروى عنه أنه قال: من أمسى كالاً – أي مجهداً من عمل يده – أمسى مغفور له.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان آمين.

الرحمة شأنها وعظم ثوابها

الحمد لله الرحمن الذي كتب على نفسه الرحمة فهو الرحمن الرحيم.

أحمده سبحانه على حكمته في أمره وشرعه فهو العليم الحكيم.

وأشكره – جل ذكره – على سابغ نعمه وواسع فضله – فتبارك الله – ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه إلا إله إلا هو رب العرش العظيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكمل عبد وأشرف مرسل بأحسن دين وأكمل شريعة إلى خير أمة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، خير الناس للناس، وأرحم الناس بالناس إنما يرحم الله من عباده الرحماء، وإن ربك لهو العزيز الرحيم.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تفلحوا، وتراحموا ترحموا، ومن لا يرحم لا يرحم، وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم فإن الله هو الغني الحميد.

عباد الله:

الرحمة بمستحقها – سجية كريمة وعبادة عظيمة، جعل الله تبارك وتعالى ثوابها رحمته للرحيم بخلق في الدارين وحسن جزائه للمحسنين، ومن أصناف أهل الجنة رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم.

أيها المسلمون:

ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، وإن من دلائل صدق الإيمان ومحبة الملك الديان الرحمة بمستحقها على وجه الإحسان طمعاً في رحمة الرحمن، فنعم البرهان على الإيمان، ونعم السبب الموصل إلى رحمة الكريم المنان، فتراحموا يرحمكم الرحمن.

معشر المسلمين: الرحمة وصف وفعل تردد ذكره في القرآن يذكره الرحمن على وجه التسمي به ونعت نفسه به وأنه تعالى يرحم برحمته من يشاء من خلقه حتى جاوز ذكره ثلاثمائة مرة وفي ذلك من حظ المخاطبين واللاحقين أولى الألباب على التحلي بالرحمة والمبادرة بها، برحمة مستحقها عند وجود مناسبته ومقتضيها، على الوجه الذي هدى الله تعالى إليه في محكم الكتاب وبينه النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من خطاب، طمعاً في واسع الرحمة وكريم الثواب، وكم في ذلك من تذكرة لأولي النهى والألباب.

معشر المؤمنين: من رحمه الله صرف العذاب، ومن رحمه الله هداه للحق المختلف فيه في الكتاب، ومن رحمه الله لم تأمره نفسه بالسوء رحمه الله غفر له وعفى عنه ونصره، ومن رحمه الله ثبته الله على هداه، ووفقه لما فيه رضاه ومن رحمه الله لطف به عند الشدائد، وأكرمه بكريم العوائد، ومن رحمه الله علمه ما ينفعه ونفعه بما علمه، ووفقه للعمل بعلمه على الوجه الذي يعلي مقامه وينيله به إكرامه، ومن رحمه الله أجاره من النار، وأورثه الفردوس الأعلى مع الأخيار فارحموا، ولا تقسوا قلوبكم فتشقوا وتحرموا.

أيها المؤمنون:

من الرحمة بر الوالدين وصلة الرحم التي أمر بها رب العالمين ومن الرحمة إطعام المسكين والإحسان، على اليتيم، ومن الرحمة إغاثة الملهوف والمبادرة إلى صنائع المعروف ومن الرحمة التيسير على المعسرين المبادرة بقضاء الدين عن الغارمين، ومن الرحمة إطعام الطعام، وسقي الماء للعطشى ومن الرحمة تعليم الجاهل، وتذكير الغافل والأخذ على يد السفيه وأطره على الحق أطرا وقصره على الحق قصرا، ومن الرحمة الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله ومن الرحمة حسن عشرة النساء، وتأديب وتربية الأبناء، ومن الرحمة التخفيف عن المملوك والأجير، وإعطائه أجره عند أدائه عمله من غير توانٍ ولا تأخير.

معشر المؤمنين: تحلوا بخلق الرحمة، والتمسوا أسباب رحمة الغفور ذو الرحمة، واتصفوا بالسداد والحكمة وتذكروا أنه لا يتصف بالرحمة إلا تقي، ولا تنزع الرحمة إلا من شقي، فارحموا يا أولي الألباب ترحموا في الدنيا ويوم يقوم الحساب.

لزوم السنة ومن أمثلتها السواك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والسعي في موجبات محبته ورضاه، والنأي والبعد عن أسباب سخطه وحرمان هداه، فإن الله تعالى يحب المحسنين المتقين، ويرضى عن الشاكرين، ولا يحب الظالمين، وينهى عن الغفلة وصحبة الغافلين.

عباد الله: إن سنة النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا هي البيان والتحقيق لمراد الله تعالى في القرآن وهي شعار وحلية عباد الرحمن، وفيها ضمانة للسير على طريق السعادة الموصل إلى الجنة والرضوان وأمنة من موجبات الشقوة والخسران ولذلكم أمر الله تبارك وتعالى بإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته ونبه على أن ذلك هو الحكمة من بعثته ورسالته، ونهى عن مخالفته ومشاقته وتهدد المخالفين بعاجل مؤاخذته وأليم عقوبته فقال سبحانه {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} وقال سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} وقال سبحانه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} وقال جل ذكره: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} وقال جل جلاله وعظم سلطانه وشأنه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

أيها المسلمون: وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عليكم بسنتي " وقوله: " من رغب عن سنتي فليس مني " وقوله صلى الله عليه وسلم: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ".

ولقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يعرف أمته يوم القيامة بعلامات هي آثار عن إتباع سنته، وأنه يطرد أقوام يوم القيامة عن حوضه بسبب إحداثهم في دينه ونكوصهم على أعقابهم بعد مفارقته.

معشر المسلمين: إن إتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الكبير والصغير واليسير والحقير والجليل والدقيق، والاجتماع والخلوة والنشاط والفترة برهان الإيمان وآية المحبة وعلامة الهدى ومظهر التوفيق وحقيقة التصديق، وغاية الموافقة، وأعظم وسيلة وضمانة لكريم المرافقة قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}.

معشر المسلمين: ولتوضيح المقال بالمثال ليكون الأمر من العقلاء على بال، أذكر سنة نبوية مؤكدة يسيرة، فوائدها ومنافعها وأجورها كثيرة، وكبيرة، عنى بها الموفقون فنالوا بها عاجل المصالح، وتسببوا بها عند الله للمتجر الرابح، وفرط فيها غافلون معرضون أو متساهلون، فتعرضوا لأذى كثير، وأنفقوا مالا غير يسير، وفاتهم أجر كبير.

أيها المؤمنون: السنة التي سأمثل بها وأنوه بشأنها هي سنة السواك – أي استعمال عود أو فرشاة أو نحوهما في الأسنان واللسان ليذهب الصفرة ويطيب الفم على الوجه والكيفية التي وردت بهما السنة عملا بالقرآن وأخذاً بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والبيان فقد خرج الإمام أحمد – رحمه الله – في مسنده عن أبي بكر الصديق وعائشة ابنته رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن السواك لمطهرة – وفي رواية مطيبة – للفم مرضاة للرب " وفي الطبراني في الأوسط عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب مجلاة للبصر " وخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه – رحمهما الله تعالى – عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا " وروى الدارقطني في الأفراد عن أم الدرداء رضي الله عنها " ركعتان بسواك خير من سبعين ركعة بلا سواك " وقد جاءت بهذا المعنى أحاديث موقوفة، ومرسلة، ومرفوعة ضعيفة، تدل على أن له أصلا، ويؤكد ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع – وفي رواية – عند كل صلاة " وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع – وفي رواية – عند كل صلاة" وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء، ومع كل وضوء بسواك".

أيها المؤمنون: ولقد بلغ من العناية بشأن هذه السنة اليسيرة ذات المنافع والأجور الكبيرة والتي تساهل بها من المسلمون جموع غفيرة أن جاء التأكيد والحظ عليها بصيغ بليغة في صحيح البخاري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أكثرت عليكم في السواك " وخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي " – يعني يفرض – وفيه أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه سينزل علي – يعني بشأنه – قرآن " وفي رواية – " أو وحي ".

معشر المسلمين: فهذه الأحاديث المسندة الصحيحة مع الأحاديث والآثار المعلولة والموقوفة الضعيفة تبين عظم شأن سنة السواك من الدين، وأهميتها من الطهارة، وكثرة ما جعل الله فيها لأهلها من البركة والمنافع العاجلة والأجور والمثوبات المدخرة في الآخرة، كيف لا وهي معدودة من جملة سنن المرسلين وخصال الفطرة التي يكمل الله بها المكلفين والنص على أنها مطهرة للفم مرضاة لرب العالمين.

معشر المؤمنين: ولقد تتبع فقهاء الملة المحمدية عامة الآثار المروية بشأن هذه السنة المشروعة المرضية فاجتمع لهم من منافع السواك أنه: مرضاة للرب، ومن خصال الفطرة، ويوافق السنة، ويفرح أو يحبب الملائكة الحفظة، ويسخط الشيطان، ويبيض ويحفظ الأسنان، ويجلو البصر، ويطيب الفم، ويترع البلغم، ويشد اللثة، ويطفئ المرة، ويصلح المعدة، ويذهب النخر، ويمنع الحفر، ويشهي الطعام، ويسهل الكلام. فتلكم عباد الله ستة عشرة فائدة وكم ادخر الله تبارك وتعالى لأهل هذه السنة من جزيل المثوبة وكريم العائدة، والمحروم من جهل أو غفل فما أبرك السنة وما أشأم الإعراض والجفوة.

معشر المسلمين: ولقد بلغ من عناية النبي صلى الله عليه وسلم بسنة السواك وتربية أصحابه عليها أن خصص لسواكه رجلا من خاصة أصحابه رضي الله عنهم هو ابن مسعود رضي الله عنه كان صاحب السواك والنعلين المسئول عنهما ولقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر السواك

فيستاك في جملة أحيانه فكان صلى الله عليه وسلم يستاك عند وضوءه وقبل صلاته وبعدها وقبل نومه وبعده وحال صومه وحال فطره وفي صحته وفي مرضه، وعند دخول منزله وفي عامة مجالسه، وحتى توفي صلى الله عليه وسلم والسواك على طرف لسانه، فلقد فارق صلى الله عليه وسلم الدنيا والسواك في فيه، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " نعم الشيء السواك " وقال لأصحابه رضي الله عنهم السواك سنة فاستاكوا وتنظفوا أي وقت شئتم وروي عنه صلى الله عليه وسلم كان يهدي أصحابه السواك من الأراك ويقول: " استاكوا بهذا " وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال نعم السواك الزيتون من شجرة مباركة يطيب الفم ويذهب الحفر وهو سواكي وسواك الأنبياء قبلي " وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتوا النبي صلى الله عليه وسلم – يعني جماعة من أصحابه – فقال مالي أراكم تأتوني قلحا – يعني صفر – الأسنان – استاكوا لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الوضوء " رواه أحمد.

أمة الإسلام: ولقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ إذا دخل بيته فقالت بالسواك، وحدثت هي أيضا رضي الله عنها فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع له وضوءه وسواكه – تعني من الليل – فإذا قام من الليل تخلى ثم استاك، وقالت كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرقد من الليل أو النهار فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ. وقال ابن عمر رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام إلا والسواك عنده – أي من شدة العناية به – فإذا استيقظ تسوك " وقال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل فيشوص فاه – أي يدلكه – بسواك ".

أمة الإسلام: ولقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم شأن سنة السواك من عنايته صلى الله عليه وسلم بها وفقهوا حكمتها وغايتها فتأسوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في العناية بها وهداية الأمة إليها فلازموها وبلغوها وكانوا في ذلك حازمين مصيبين بدين الله تعالى عالمين ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مبلغين في الأقوال والأفعال والأحوال، فكان أبو أيوب رضي الله عنه يشهد الصلوات في المسجد وسواكه فوق أذنه موضع القلم من أذن الكاتب فلا يقوم إلى الصلاة إلا تسوك، وكذلك نقل عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لقد كنت أستن – يعني يتسوك – قبل أن أنام وبعدما أستيقظ وقبل ما آكل وبعدما آكل، حين سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما قال.

أمة القرآن: ولقد تتبع فقهاء الملة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه في السواك فعدوا من المناسبات التي يشرع فيها السواك عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند قراءة القرآن، وحال صفرة

الأسنان، وبعد دخول المنزل، وقبل النوم وبعد الاستيقاظ، وقبل الأكل وبعده، وبعد الوتر وفي الحر وعند تغير رائحة الفم، وحال حضور المجتمعات، وفي حال المرض، والغثيان، إلى غير ذلك من الأوقات التي يكون فيها السواك طيبا ونظافةً وسنةً ووقاراً وإغاضة للشيطان وتقوية للإيمان.

ألا فاتقوا الله ربكم، وتمسكوا بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى أن تفضوا إلى آخرتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد بارك الله لي ولكم في القرآن.

في التوبة والإصلاح

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأتوب إليه من كل ذنب وأستغفره، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يتوب على من تاب.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أشرف مرسل وأكمل من تاب.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أكمل التوابين بعد المرسلين والنبيين وأولى المبشرين من هذه الأمة بتوبة رب العالمين.

أما بعد: فيا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروا فإن الله تبارك وتعالى يحب التوابين، وقد بشرهم بالجنة في قوله المحكم المبين {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.

عباد الله: لقد أمركم ربكم جل وعلا في محكم تنزيله وصادق قيله بالتوبة والإصلاح ووعدكم على ذلك بأن يتوب عليكم ويجعلكم من أهل الفلاح وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} وقال سبحانه {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وقال سبحانه {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

وقال سبحانه: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

أيها المسلمون:

لقد بعث الله تبارك وتعالى جميع المرسلين والنبيين عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى التوبة جميع المكلفين من الجنة والآدميين يقولون لأممهم {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} وأنزل الله جل وعلا القرآن العظيم مشتملاً على قوله سبحانه، {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

معشر المسلمين:

من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى، وصفاته العلى، وأفضاله العظيمة الجلي، أنه سبحانه " التواب " أي الذي يتوب على من يشاء ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومعنى "التواب" أي الذي يوفق عبده للتوبة النصوح أي الصادقة من قلبه الخالصة لربه ويتقبلها منه فيتوب على عبده ويغفر له مهما كثر وعظم ذنبه فإنه سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره ولو أتاه عبده بملىء الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لأتاه بملئها مغفرة ولو بلغت ذنوبه عنان

السماء فإنه القائل سبحانه في الحديث القدس الصحيح " يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم فمن تاب من الذنوب جميعاً فإن الله يتوب عليه ومن تاب من الشرك تاب الله عليه ومن لم يتب مما دون الشرك فإنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر وإن شاء عذبه فإنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وإليه تقلبون، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فإن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ".

معشر المؤمنين:

ومن أسماء نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم نبي التوبة ومن معانيه الداعي إلى التوبة، وفيه لأتباعه وأكمل أسوة في التوبة والذي كثر الله تبارك وتعالى ويسر في شريعته أسباب التوبة، وأجزل الله جل وعلا في دينه الثواب على التوبة، وهو الذي أخبر عن أوان إغلاق باب التوبة.

أيها المؤمنون:

لقد تكاثرت وتواردت الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الحاضة للعقلاء على التوبة والمبادرة بها قبل فوات أوانها والمبينة لكرم ثواب الله جل وعلا وحسن جزائه عليها وبركتها وحسن عواقبها على أهلها ومن ذلك. البشارة بأن الله تعالى يتوب على من يتوب، ويرحمه ويغفر له الذنوب، ويعفو عن سيئاته، بل يبدلها الله حسنات ويضاعف حسناته، ويجنبه النار ويدخله الجنة ويرفع فيها درجاته، ويمتعه في الدنيا متاعاً حسناً ويؤتيه من لدنه فضلا، ويجعله من أهل الاصطفاء والاجتباء، ولا يظلم شيئاً ويتقبل الله عمله، ويزيده من هداه، ويحبه ويتولاه وينصره على من عاداه، ويرزقه الله رزقه وقوته، ويقرب منه ويجيب دعوته ويكثر نسله ويصلح له عمله وذريته، ويوسع له ويبارك له، ويرحمه ويوده، ويجعل له وداً في عباده وقبولاً عند خلقه ويحفظه ويكلؤه مما يؤذيه أو يريد أن يعتدي عليه.

معشر المؤمنين:

التوب ترك الذنوب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، والعبد التواب كثير التوبة الذي كلما أذنب تاب فلا يستهين بصغيرة ولا يصر على كبيرة بل هو مع ربه جل وعلا في أكمل أدب وأجمل سيرة فيجمع – دائماً – بين ترك القبيح والتحري وتحقيق كل جميل، والتوبة هي: ترك المعصية لقبحها، والندم خوفاً من الله تعالى على ما سلف منها، والعزم الصادق على أن لا يعود مستقبلاً لمثلها حذراً من عقاب الله ورجاءاً لثوابه وطمعاً في مغفرته ورحمته والنجاة من ناره والفوز بجنته ورضوانه فلا تكون التوبة نصوحاً حتى تجمع أموراً.

الأول: الإقلاع عن المخالفة لقبحها ومقت الله عليها.

الثاني: الاعتراف بالخطأ في ارتكابها واستحقاق العقوبة على فعلها.

الثالث: الندم على فعل ما سلف منها.

الرابع: العزم على أن لا يعود إليها لولا إلى مثلها. هذا إذا كانت المعصية في حلل الله تعالى أما إذا كانت الخطيئة في حق آدمي فلا بد من استحلاله منها ورد المظلمة إن أمكن إلى المظلوم بها فإن لم تكن أحسن إليه بالدعاء والصدقة وحسن الذكر حتى يغلب على ظنه أنه قد أدى إليه ما يقابلها.

أمة الإسلام: يجب على كل مسلم مؤمن بيوم الحساب والوقوف بين يدي رب الأرباب أن يتوب من الذنب المعلوم، من ارتكاب المحرم أو ترك الواجب من حق الحي القيوم، فإن ترك الواجب، أكبر إثما من فعل المحرم وكلاهما كبير في حق المهيمن العظيم. أمة القرآن: إن هي حقيقة دين الإسلام فإن الدين كله داخل في حقيقة التوبة فإن العبد مقصر مذنب لا محالة إما بارتكاب محرم أو بترك واجب، أو بعدم أداء الواجب على الوجه الأكمل الذي ينبغي أو بتقصير في شكر الله تعالى على الإحسان بالنعمة وصرف البلية والنقمة وبهذا استحق التائب، أن يكون حبيب عرفان الله تعالى يحب التوابين ويفرح بتوبة العبد، وإنما يحب الله من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. فحقيقة التوبة هي الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً أو باطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً من اعتقاد وقول وعمل وخلق وحال فتدخل في مسماها جميع مراتب الدين من الإسلام والإيمان والإحسان وتتناول جميع مقامات الدين وجميع حقوق الله على المكلفين ولهذا كانت من مهمات الرسالة وصفات المرسلين ودعوة الكتب المنزلة من رب العالمين وحلية المؤمنين ولذا كانت غاية كل مؤمن ومن الحكمة في خلق الخلق ولم يجعل الله تبارك وتعالى محبته للتوابين إلا لأنهم من خواص خلقه وأكرمهم عليه وأحظاهم عنده وأحقهم بإحسان فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وانصحوا في التوبة تكونوا من المكرمين بارك الله لي ولكم في القرآن. آمين.